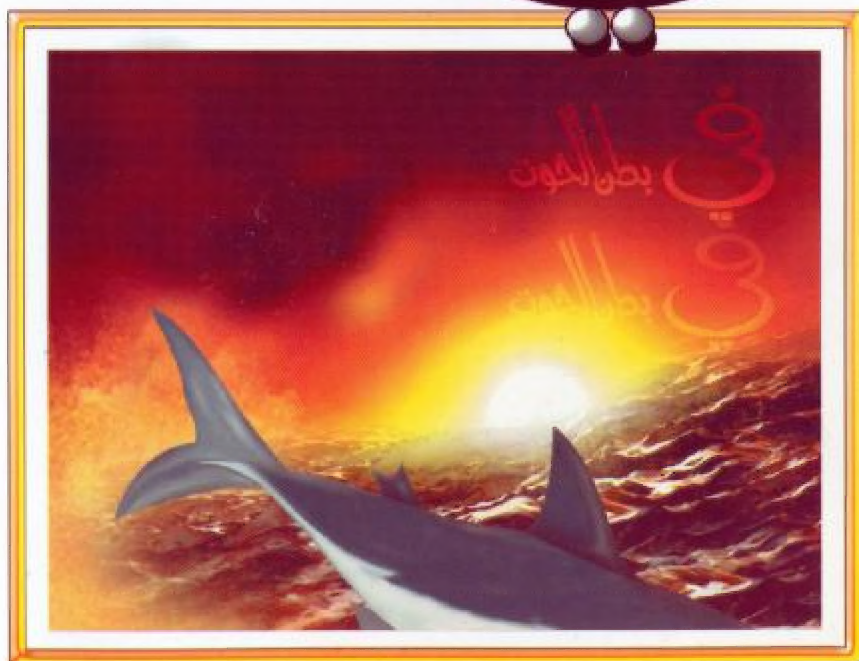


في بطن الحوت



د. محمد العزيفي

..أعمى يسدد الهدف..

لم أكن جاوزت الثلاثين حين أنجبت زوجتي أول أبنائي.. ما زلت أذكر تلك الليلة.. بقيت إلى آخر الليل مع الشلة في إحدى الاستراحات.. كانت سهرة مليئة بالكلام الفارغ.. بل بالغبية والتعليقات المحرمة.. كنت أنا الذي أتولى في الغالب إضحاكهم.. وغبية الناس.. وهم يضحكون.. أذكر ليلتها أني أضحكهم كثيراً.. كنت أمتلك موهبة عجيبة في التقليد.. بإمكانني تغيير نبرة صوتي حتى تصبح قريبة من الشخص الذي أسخر منه.. أجل كنت أسخر من هذا وذاك.. لم يسلم أحد مني حتى أصحابي.. صار بعض الناس يتجنبني كي يسلم من لساني..

أذكر أني تلك الليلة سخرت من أعمى رأيته يتسول في السوق.. والأدهى أني وضعت قدمي أمامه فتعثر وسقط يتلفت برأسه لا يدري مايقول.. وانطلقت ضحكتي تدوي في السوق..

عدت إلى بيتي متأخراً كالعادة..

وجدت زوجتي في انتظاري.. كانت في حالة يرثى لها..

قالت بصوت متهدج: راشد.. أين كنت؟

قلت ساخراً: في المريخ.. عند أصحابي بالطبع..

كان الإعياء ظاهراً عليها.. قالت والعبرة تخنفها: راشد.. أنا تعبـة جداً.. الظاهر أن موعد ولادتي صار وشيكاً.. سقطت دمعة صامتة على خدها.. أحسست أني أهملت زوجتي.. كان المفروض أن أهتم بها وأقلل من سهراتي.. خاصة أنها في شهرها التاسع.. حملتها إلى المستشفى بسرعة..

دخلت غرفة الولادة.. جعلت تقاسي الآلام ساعات طوال..

كنت أنتظر ولادتهما بفارغ

الصبر.. تعسرت ولادتهما..

فانتظرت طويلاً حتى

تعبت.. فذهبت إلى البيت..

وتركت رقم هاتفي عندهم

ليبشروني..

بعد ساعة.. اتصلوا بي

ليزفوا لي نبأ قدوم سالم..

ذهبت إلى المستشفى فوراً..

أول ما راؤني أسأل عن

غرفتها..

طلبوا مني مراجعة الطبيبة

التي أشرفت على ولادة

زوجتي..





صرخت بهم، أي طبيبة؟! المهم أن أرى ابني سالم..
قالوا.. أولاً.. راجع الطبيبة..

دخلت على الطبيبة.. كلمتني عن المصائب.. والرضى بالأقدار..

ثم قالت: ولدك به تشوه شديد في عينيه ويبدو أنه فاقد البصر!

خفضت رأسي.. وأنا أدافع عبراتي.. تذكرت ذاك المتسول الأعمى.. الذي دفعته
في السوق وأضحكت عليه الناس..

سبحان الله كما تدين تدان! بقيت واجماً قليلاً.. لا أدري ماذا أقول.. ثم
تذكرت زوجتي وولدي..

شكرت الطبيبة على لطفها.. ومضيت لأرى زوجتي..

لم تحزن زوجتي.. كانت مؤمنة بقضاء الله.. راضية.. طالما نصحتني أن أكف عن
الاستهزاء بالناس.. كانت تردد دائماً.. لا تغيب الناس..

خرجنا من المستشفى.. وخرج سالم معنا..

في الحقيقة.. لم أكن أهتم به كثيراً.. اعتبرته غير موجود في المنزل..

حين يشتد بكأؤه أهرب إلى الصلاة لأنام فيها.. كانت زوجتي تهتم به كثيراً..
وتحبه كثيراً.. أما أنا فلم أكن أكرهه.. لكنني لم أستطع أن أحبه!

كبر سالم.. بدأ يحبو.. كانت حبوته غريبة.. قارب عمره السنة فبدأ يحاول
المشي.. فاكشفنا أنه أعرج.. أصبح ثقيلاً على نفسي أكثر..

أنجبت زوجتي بعده عمر وخالداً..

مرت السنوات.. وكبر سالم.. وكبر أخواه..

كنت لا أحب الجلوس في البيت.. دائماً مع أصحابي..

في الحقيقة كنت كاللعبه في أيديهم.. لم تياس زوجتي من إصلاحي..

كانت تدعوني دائماً بالهداية.. لم تغضب من تصرفاتي الطائشة..

لكنها كانت تحزن كثيراً إذا رأت إهمالي لسالم واهتمامي بباقي إخوته..

كبر سالم.. وكبر معه همي..

لم أمانع حين طلبت زوجتي تسجيله في إحدى المدارس الخاصة بالمعاقين..

لم أكن أحس بمرور السنوات.. أيامي سواء.. عمل ونوم وطعام وسهر..

في يوم جمعة.. استيقظت الساعة الحادية عشر ظهراً..

ما يزال الوقت مبكراً بالنسبة لي.. كنت مدعواً إلى وليمة..

لبست وتعطرته وهممت بالخروج..

مررت بصالة المنزل.. استوقفني منظر سالم.. كان يبكي بحرقة!

إنها المرة الأولى التي انتبه فيها إلى سالم يبكي منذ كان طفلاً.. عشر سنوات

مضت.. لم ألفت إليه.. حاولت أن أتجاهله.. فلم أحتمل.. كنت أسمع صوته

ينادي أمه وأنا في الغرفة..

التفت.. ثم اقتربت منه.. قلت: سالم! لماذا تبكي؟
حين سمع صوتي توقف عن البكاء.. فلما شعر بقربي..
بدأ يتحسس ما حوله بيديه الصغيرتين.. ما به ياترى؟
اكتشفت أنه يحاول الابتعاد عني!!
وكانه يقول، الآن احسست بي.. أين أنت منذ عشر سنوات؟
تبعته.. كان قد دخل غرفته.. رفض أن يخبرني في البداية سبب بكانه..
حاولت التلطف معه..
بدأ سالم يبين سبب بكانه.. وأنا أستمع إليه وأنتفض.. تدري ما السبب!!
تأخر عليه أخوه عمر.. الذي اعتاد أن يوصله إلى المسجد..
ولأنها صلاة جمعة.. خاف ألا يجد مكانا في الصف الأول..
نادى عمر.. ونادى والدته.. ولكن لامجيب.. فبكي.. أخذت أنظر إلى الدموع
تتسرب من عينيه المكفوفتين.. لم أستطع أن أتحمل بقية كلامه..
وضعت يدي على فمه.. وقلت: لذلك بكيت يا سالم!! قال: نعم..
نسيت أصحابي.. ونسيت التوليمة.. وقلت:
سالم لا تحزن.. هل تعلم من سيذهب بك اليوم إلى المسجد؟
قال: أكيد عمر.. لكنه يتأخر دائما..
قلت: لا.. بل أنا سأذهب بك..
دهش سالم.. لم يصدق.. ظن أنني أسخر منه.. استعبر ثم بكى..
مسحت دموعه بيدي.. وأمسكت يده..
أردت أن أوصله بالسيارة.. رفض قائلا: المسجد قريب.. أريد أن
أخطو إلى المسجد.. إي



والله قال لي ذلك - ..
لا أذكر متى كانت آخر مرة
دخلت فيها المسجد..
لكنها المرة الأولى التي أشعر
فيها بالخوف.. والندم على
ما فرطته طوال السنوات
الماضية..
كان المسجد مليئاً
بالمصلين.. إلا أنني وجدت
لسالم مكاناً في الصف
الأول..
استمعنا لخطبة الجمعة معا
وصلى بجانبي.. بل في
الحقيقة أنا صليت بجانبه..

بعد انتهاء الصلاة طلب مني سالم مصحفاً..

استغربت!! كيف سيقراً وهو أعمى؟

كدت أن أتجاهل طلبه.. لكنني جاملته خوفاً من جرح مشاعره.. ناولته

المصحف طلب مني أن أفتح المصحف على سورة الكهف..

أخذت أقلب الصفحات تارة.. وأنظر في الفهرس تارة.. حتى وجدتتها..

أخذ مني المصحف.. ثم وضعه أمامه.. وبدأ في قراءة السورة.. وعيناه مغمضتان..

يا الله!! إنه يحفظ سورة الكهف كاملة!!

خجلت من نفسي.. أمسكت مصحفاً.. أحسست برعشة في أوصالي.. قرأت..

وقرأت.. دعوت الله أن يغفر لي ويهديني..

لم أستطع الإحتمال.. هبذات أبكي كالأطفال..

كان بعض الناس لا يزال في المسجد يصلي السنة.. خجلت منهم.. فحاولت أن

أكتم بكائي.. تحول البكاء إلى نحيب وشهيق..

لم أشعر إلا ببيد صغيرة تتلمس وجهي.. ثم تمسح عني دموعي..

إنه سالم!! ضممته إلى صدري..

نظرت إليه.. قلت في نفسي.. لست أنت الأعمى.. بل أنا الأعمى.. حين إنسقت

وراء فساق يجروني إلى النار..

عدنا إلى المنزل.. كانت زوجتي قلقة كثيراً على سالم..

لكن قلقها تحول إلى دموع حين علمت أنني صليت الجمعة مع سالم..

من ذلك اليوم لم تفتني صلاة جماعة في المسجد..

هجرت رفقاء السوء.. وأصبحت لي رفقة خيرة عرفتها في المسجد..

ذقت طعم الإيمان معهم.. عرفت منهم أشياء ألهتني عنها الدنيا.. لم أفوت

حلقة ذكر أو صلاة الوتر.. ختمت القرآن عدة مرات في شهر..

رطببت لساني بالذكر لعل الله يغفر لي غيبيتي وسخريتي من الناس..

أحسست أنني أكثر قرباً من أسرتي..

اختفت نظرات الخوف والشفقة التي كانت تطل من عيون زوجتي..

الابتسامة ما عادت تفارق وجه ابني سالم.. من يراه يظنه ملك الدنيا وما فيها..

حمدت الله كثيراً على نعمه..

ذات يوم.. قرر أصحابي الصالحون أن يتوجهوا إلى إحدى المناطق البعيدة للدعوة..

ترددت في الذهاب.. استخرت الله.. واستشرت زوجتي..

توقع أنها سترفض.. لكن حدث العكس!

فرحت كثيراً.. بل شجعتني.. فلقد كانت تراني في السابق أسافر دون استشارتها

فسقاً وفجوراً..

توجهت إلى سالم.. أخبرته أنني مسافر.. ضممني بذراعيه الصغيرين مودعاً..

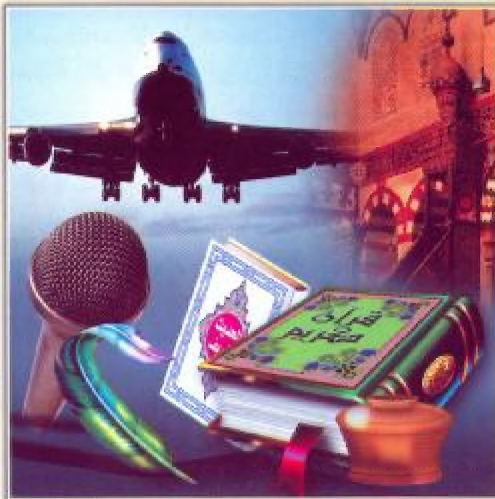
تغيبت عن البيت ثلاثة أشهر ونصف..
كنت خلال تلك الفترة أتصل كلما سئحت لي الفرصة بزوجتي وأحدث أبنائي..
اشتقت إليهم كثيراً.. آآآ كم اشتقت إلى سالم!!
تتميت سماع صوته.. هو الوحيد الذي لم يحدثني منذ سافرت..
إما أن يكون في المدرسة أو المسجد ساعة اتصالي بهم..
كلما حدثت زوجتي عن شوقي إليه.. كانت تضحك فرحاً وبشراً..
إلا آخر مرة هانفتها فيها.. لم أسمع ضحكتها المتوقعة.. تغير صوتها..
قلت لها: أبغني سلامي لسالم.. فقالت: إن شاء الله.. وسكتت..
أخيراً عدت إلى المنزل.. طرقت الباب.. تمنيت أن يفتح لي سالم..
لكن فوجئت بابني خالد الذي لم يتجاوز الرابعة من عمره..
حملته بين ذراعي وهو يصرخ: بابا.. بابا..
لا أدري لماذا انقبض صدري حين دخلت البيت..
استعدت بالله من الشيطان الرجيم..
أقبلت إلى زوجتي.. كان وجهها متغيراً.. كأنها تتصنع الفرح..
تأملتها جيداً.. ثم سألتها: ما بك؟
قالت: لاشي..

فجأة تذكرت سالمًا.. فقلت.. أين سالم؟
خفضت رأسها.. لم تجب.. سقطت دمعات حارة على خديها..
صرخت بها.. سالم.. أين سالم؟

لم أسمع حينها سوى صوت
ابني خالد.. يقول بلثغته:
بابا.. ذالم لاح الجنة.. عند الله..
لم تتحمل زوجتي الموقف..
أجهشت بالبكاء.. كادت أن
تسقط على الأرض..
فخرجت من الغرفة..

عرفت بعدها أن سالم
أصابته حمى قبل موعد
مجيئي بأسبوعين..

فأخذته زوجتي إلى المستشفى..
فاشدت عليه الحمى.. ولم
تصارقه.. حين فارقت روحه
جسده..





.. الملك ..

بعض الناس.. تشتاق نفسه إلى الهداية..
 لكنه يمتنع الكبر من اتباع شعائر الدين..
 نعم يتكبر عن تقصير ثوبه فوق الكعبين.. وإعفاء لحيته ومخالفة المشركين..
 فجمال مظهره أعظم عنده من طاعة ربه..
 وبعض النساء كذلك.. لا تزال تتساهل بأمر الحجاب.. حرصاً على تكميل زينتها.. وحسن بزتها.. أو تعصي ربها بنتف حاجبها.. أو تضيق لباسها.. وإذا نصحت استكبرت وطفئت..
 ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر.. فكيف إذا كان هذا الكبر مانعاً من الهداية..

كان جبلة بن الأيهم ..

ملكاً من ملوك غسان.. دخل إلى قلبه الإيمان..
 فأسلم ثم كتب إلى الخليفة عمر رضي الله عنه.. يستأذنه في القدوم عليه..
 سرَّ عمر والمسلمون لذلك سروراً عظيماً..
وكتب إليه عمر: أن أقدم إلينا.. ولك مالنا وعليك ما علينا..
 فأقبل جبلة في خمسمائة فارس من قومه..
 فلما دنا من المدينة لبس ثياباً منسوجة بالذهب.. ووضع على رأسه تاجاً مرصعاً بالجواهر.. وألبس جنوده ثياباً فاخرة..
 ثم دخل المدينة.. فلم يبق أحد إلا خرج ينظر إليه حتى النساء والصبيان..
 فلما دخل على عمر رغب به وأدنى مجلسه!..
 فلما دخل موسم الحج.. حج عمر وخرج معه جبلة..
 فبينما هو يطوف بالبيت إذ وطئ على إزاره رجل فقير من بني فزارة..
 فالتفت إليه جبلة مغضباً.. فلطمه فهشم أنفه..
 فغضب الفزاري.. واشتكاه إلى عمر بن الخطاب..
 فبحث إليه فقال: ما دعاك يا جبلة إلى أن لطمت أخاك في الطواف.. فهشمت أنفه!
فقال بكل كبر وغرور: إنه وطئ إزاري؟ ولولا حرمة البيت لضربت عنقه..
 فقال له عمر: أما الآن فقد أقررت.. فإما أن ترضيه.. وإلا اقتص منك ولطمك على وجهك..
 قال: يقتص مني وأنا ملك وهو سوقة!
قال عمر: يا جبلة.. إن الإسلام قد ساوى بينك وبينه.. فما تفضله بشيء إلا بالتقوى..
قال جبلة: إذن أتناصر..
قال عمر: من بدل دينه فاقتلوه.. فإن تنصرت ضربت عنقك..
فقال: أخرني إلى غد يا أمير المؤمنين..
قال: لك ذلك.. فلما كان الليل خرج جبلة وأصحابه من مكة.. وسار إلى القسطنطينية فتنصر..

فلما مضى عليه زمان هناك..
ذهبت اللذات.. وبقيت الحسرات.. فتذكر أيام إسلامه.. ولذة صلاته وصيامه ..
فتدم على ترك الدين.. والشرك برب العالمين..

فجعل بيكي ويقول:

تنبصرت الأشراف من عار لظمة ... وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني منها لجاج ونخوة ... وبعث لها العين الصحيحة بالعبور
هيا ليت أمني لم تلدني وليتني ... رجعت إلى القول الذي قال لي عمر
ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة ... وكنت أسير في ربيعة أو مضر
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشة ... أجالس قومي ذاهب السمع والبصر
ثم مازال على نصرانيته حتى مات..
نعم.. مات على الكفر لأنه تكبر عن الذلة لشرع رب العالمين..

.. شيخ في مرقص ..

قال لي:

كان في حارتنا مسجد صغير يؤم الناس فيه شيخ كبير.. قضى حياته في الصلاة والتعليم..

لاحظ أن عدد المصلين يتناقص.. كان مهتما بهم.. يشعر أنهم أولاده..
ذات يوم التفت الشيخ إلى المصلين وقال لهم: ما بال أكثر الناس.. خاصة الشباب لا يقربون المسجد ولا يعرفونه..

فأجابه المصلون: إنهم في المراقص والملاهي..

قال الشيخ: مرقص!! وما المراقص؟

فقال أحد المصلين: المرقص

صالة كبيرة فيها خشبة مرتفعة.. تصعد عليها الضتيات يرقصن والناس حولهن ينظرون إليهن..

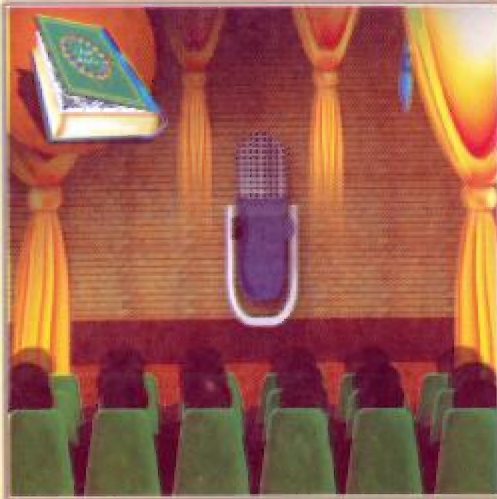
قال الشيخ: أعوذ بالله.. والذين ينظرون إليهن مسلمون.. قاتوا، نعم..

فقال بكل براءة: لا حول ولا قوة إلا بالله.. يجب أن ننصح الناس..

قالوا: يا شيخ.. تعظ الناس

وتنصحه في المرقص..؟

فقال نعم.. ثم نهض خارجاً من المسجد.. وهو يقول: هيا بنا إلى المرقص..





حاولوا أن يثبوتوا عن عزمه.. أخبروه أنهم سيواجهون بالسخرية والاستهزاء.. وسينالهم الأذى.. فقال: وهل نحن خير من محمد ﷺ !!

ثم أمسك الشيخ بيد أحد المصلين.. وقال: دنني على المرقص..

مضى الشيخ يمشي.. بكل صدق وثبات حتى وصلوا إلى المرقص..

رأهم صاحب المرقص من بعيد.. ظن أنهم ذاهبون لدرس أو محاضرة..

فلما أقبلوا عليه.. تعجب!!.. فلما توجهوا إلى باب المرقص..

سألهم: ماذا تريدون؟ قال الشيخ: نريد أن ننصحب من في المرقص..

تعجب صاحب المرقص.. وأخذ ينظر إليهم.. واعتذر عن قبولهم..

أخذ الشيخ يساومه.. ويذكره بالثواب العظيم.. لكنه أبى..

فأخذ يساومه بالمال ليأذن لهم.. حتى دفعوا له مبلغاً من المال يعادل دخله اليومي..

فوافق صاحب المرقص.. وطلب منهم أن يحضروا في الغد عند بدء العرض اليومي!

فلما كان الغد والناس في المرقص..

وخشبة المسرح تعج بالمتكررات.. والشياطين تحف الناس وتصفق لهم..

وفجأة أسدل الستار.. ثم فتح.. فإذا شيخ وقور يجلس على كرسي..

دهش الناس.. وتعجبوا.. ظن بعضهم أنها فقرة فكاهية..

بدأ الشيخ بالسملة.. والحمد لله.. والثناء عليه.. وصلى على النبي عليه الصلاة والسلام..

ثم بدأ في وعظ الناس..

نظر الناس بعضهم إلى بعض.. منهم من يضحك.. ومنهم من ينتقد.. ومنهم من

يعلق بسخرية.. والشيخ ماضٍ في موعظته لا يلتفت إليهم..

حتى قام أحد الحضور.. وأسكت الناس.. وطلب منهم الإنصات..

بدأ الهدوء يحيط بالناس.. والسكينة تنزل على القلوب..

حتى هدأت الأصوات.. فلا تسمع إلا صوت الشيخ..

قال كلاماً ما سمعوه من قبل.. آيات تهز الجبال.. وأحاديث وأمثال.. وقصص

لتوبة بعض العصاة.. وأخذ يدافع عبراته ويقول..

يا أيها الناس.. إنكم عشتم طويلاً.. وعصيتم الله كثيراً..

هأنذا ذهبت لذة المعصية.. لقد ذهبت اللذة وبقيت الصحائف سوداء..

ستسألون عنها يوم القيامة.. سيأتي يوم يفنى فيه كل شيء إلا الله الواحد القهار..

أيها الناس.. هل نظرتكم إلى أعمالكم.. وإلى أين ستؤدي بكم..

إنكم لا تتحملون النار في الدنيا.. وهي جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم..

فبادروا بالتوبة قبل هوات الأوان.. أيها الناس ماذا فعل الله بكم لتواجهوا

بالعصيان.. أليس خيرره عليكم نازل وشركم إليه صاعد.. يتحجب إليكم

بالنعم.. وتنبغضون إليه بالمعاصي..

وبدأ الشيخ متأثراً وهو يعظ.. كانت كلماته قد خرجت من القلب.. فوصلت إلى

القلب.. بكى الناس.. فزاد في موعظته.. ثم دعا لهم بالرحمة والمغفرة.. وهم يرددون: آمين.. آمين.. ثم قام من على كرسيه.. تجلله المهابة والوقار.. وخرج الجميع وراءه.. - نعم الجميع - .. وكانت توبتهم على يده.. عرفوا سر وجودهم في الحياة.. وما تغني عنهم الرقصات واللذات.. إذا تطايرت الصحف وكبرت السيئات.. حتى صاحب المرقص.. تاب وندم على ما كان منه..

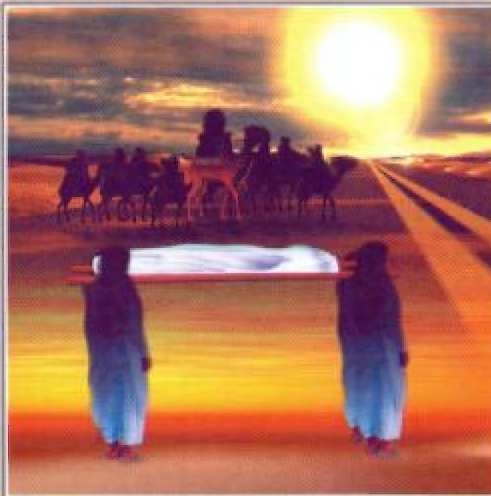
.. الشيخ الضال ..

أحياناً.. يعرف المرء الحق ويرغب في اتباعه.. لكنه يغري بمتع الدنيا.. فيظل على معصيته.. نعم يغري إما بوظيفة أو مال أو جاه أو صداقة فيترك استقامته على الدين بسببها.. ويؤثر الحياة الدنيا.. والأخرة خير وأبقى.. الأعشى بن قيس..
كان شيخاً كبيراً شاعراً.. خرج من اليمامة.. من نجد.. يريد النبي عليه الصلاة والسلام.. راغباً في الدخول في الإسلام.. مضى على راحلته.. مشتاقاً للقاء رسول الله ﷺ.. بل كان يسير وهو يردد في مدح النبي ﷺ قائلاً:

ألم تفتض عيناك ليلة أرمدا	...	ويت كما بات السليم مسهدا
ألا أيهذا السائلي أين يمت	...	فإن لها في أهل يثرب موعدا
نبي يرى ما لا ترون وذكره	...	أغار لعمرى في البلاد وأنجدا
أجدك لم تسمع وصاة محمد	...	نبي الإله حيث أوصى وأشهدا
إذ أنت لم ترحل بزاد من التقى	...	ولا قيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثلته	...	فترصد للأمر الذي كان أرصدا

وما زال يقطع الفيافي والقفار.. يحمله الشوق والغرام.. إلى النبي عليه الصلاة والسلام.. راغباً في الإسلام.. ونبذ عبادة الأصنام..

فلما كان قريباً من المدينة.. اعترضه بعض المشركين فسألوه عن أمره فأخبرهم أنه جاء يريد لقاء رسول الله ﷺ ليسلم.. فخافوا أن يسلم هذا الشاعر.. فيقوى شأن النبي ﷺ.. هشاعر واحد وهو حسان بن ثابت قد فعل بهم



الأفاعيل.. فكيف لو أسلم شاعر العرب الأعشى بن قيس..

فقالوا له: يا أعشى دينك ودين أبائك خير لك..

قال: بل دينه خير وأقوم..

فنظر بعضهم إلى بعض وجعلوا يتشاورون.. كيف يصدوه عن الدين..

فقالوا له: يا أعشى.. إنه يحرم الزنا.. فقال: أنا شيخ كبير.. وما لي في النساء حاجة..

فقالوا: إنه يحرم الخمر..

فقال: إنها مذهبة للعقل.. مذلة للرجل.. ولا حاجة لي بها..

فلما رأوا أنه عازم على الإسلام..

قالوا: نعطيك مائة بعير وترجع إلى أهلك وتترك الإسلام..

فجعل يفكر في المال.. فإذا هو ثروة عظيمة.. فتغلب الشيطان على عقله..

والثفت إليهم وقال: أما المال.. فنعم..

فجمعوا له مائة بعير.. فأخذها.. وارتد على عقبيه.. وكرّ راجعاً إلى قومه بكفّره..

واستاق الإبل أمامه.. فرحاً بها مستبشراً.. يرى أنه قد اجتمع له الشعر مع الجاه

والغنى.. **لكنه نسي أن الله له بالمرصاد..** كيف يعصي الله لأجل دنيا.. والله

عنده خزائن السموات والأرض..

فلما كاد أن يبلغ دياره.. سقط من على ناقته فانكسرت رقبته ومات خسر الدنيا

والآخرة ذلك هو الخسران المبين..

.. سارة..

الإشارة حمراء.. والطريق مليء بالسيارات.. لم يتبق على الموعد سوى بضع دقائق..

تباً لهذه الإشارة إنها طويلة.. يا ليتني كنت في الصف الأول.. لكنت قطعناها..

الثواني تمر بطيئة كأنها دقائق بل ساعات..

أنظر إلى الساعة حيناً وإلى الإشارة حيناً آخر..

أضاءت الإشارة خضراء.. صفقت على منبه السيارة أزعجت الجميع.. تحركت

السيارات.. تجاوزت الأول.. كدت أصطدم بالثاني.. قیادتني للسيارة أزعجت من

حولي.. حاولت أن أسرع.. لكنني لم أستطع..

مضى الوقت.. وضاع الموعد.. ولم أجد الأصدقاء.. لقد ذهبوا..

إلى أين أذهب؟.. احترت في الإجابة.. أطلقت زهرة من صدري.. يا ليتني

كنت أعرف مكانهم..

السيارة تمضي بهدوء.. انطلقت أفكر.. أيقظني منبه سيارة أخرى.. نظرت إلى

صاحب السيارة بغضب.. وأشرت إليه بيدي.. تمهل الدنيا لن تطير.. ونسيت

حالي قبل دقائق..

قررت أن أقضي السهرة في البيت.. إنها فكرة جيدة.. فابتنيت الوحيدة مريضة..

والأفضل أن أكون قريباً منها..

أوقفت السيارة أمام محل الفيديو.. نزلت إلى المحل.. اخترت عدة أفلام.. وانطلقت إلى المنزل..

فتحت الباب.. ناديت على زوجتي.. احضري الشاي والمكسرات.. دخلت إلى الغرفة.. "يالها من زوجة معقدة".. الآن ستقول لي: "اتق الله يا أحمد".. لقد تعودت على هذه الكلمات حتى تبدلت أحاسيسي نحوها.. لكنها زوجة مطيعة.. طيبة.. تشقى من أجل سعادتي.. دخلت ومعها الشاي والمكسرات.. ابتسمت في وجهي.. قالت: لا بد أنك سممت السهر مع أصدقائك وتريد أن تجلس في البيت.. **قلت: نعم.. تعالي واجلسي..** فرحت وهمت أن تجلس..

وقمت أنا إلى جهاز الفيديو والتلفاز.. فانطلقت الموسيقى الصاخبة.. أرخت المسكينة رأسها وقالت: اتق الله يا أحمد.. وخرجت تجر أذيال الحسرة والهزيمة.. فهي لا تسمع الموسيقى..

ارتفعت الأصوات في الغرفة.. موسيقى.. صراخ.. ضحكات.. وانطلقت أشرب الشاي.. وأتناول المكسرات.. وعيناي قد تسمرت في شاشة التلفاز.. انتهى الشريط الأول.. والشريط الثاني..

الساعة تشير إلى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل.. فجأة.. مقبض الباب يتحرك ببطء.. صرخت: ماذا تريدين؟.. لم أسمع جواباً.. انفتح الباب.. دخلت ابنتي المريضة..

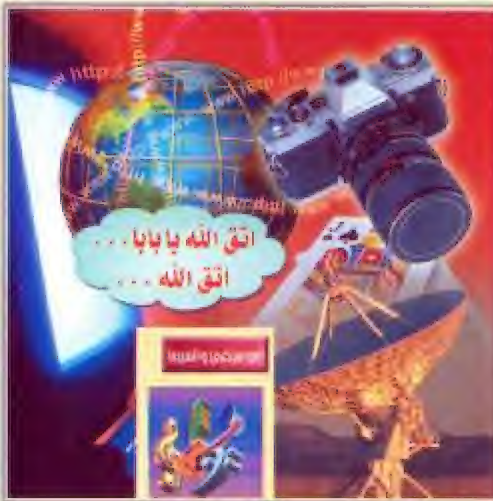
فاجاني الموقف.. سكنت برهة ولم أتكلم.. **أقتربت مني..** نظرت إلي بهدوء.. ثم قالت: اتق الله يا بابا.. اتق الله يا بابا.. ثم انصرفت وأغلقت الباب..

ناديتها.. سارة.. سارة.. لم تجب.. انطلقت خلفها..

لا أكاد أصدق.. هل هذه ابنتي؟..

فتحت باب الغرفة.. وجدتني سبقتني إلى فراشها.. ونامت في حضن أمها.. إنها هي.. عدت إلى غرفة الجلوس.. أغلقت جهاز الفيديو.. صوت ابنتي يملأ الغرفة.. اتق الله يا بابا..

اتق الله يا بابا.. قشعريرة سرت في جسدي.. تصيب العرق من رأسي.. لا أدري ماذا أصابني..





ما عدت أسمع إلا صوتها.. ولا أرى إلا صورتها.. كلماتها اخترقت كل الحواجز الجاثمة على صدري منذ زمن بعيد.. ترك صلاة.. معاص.. دخان.. أفلام خليعة.. أيقظتني من الغفلة.. تسارعت نبضات قلبي.. وألقيت بجسدي على الأرض.. حاولت أن أنام.. لكنني لم أستطع.. مضى الوقت سريعاً..

صور من الماضي استعرضتها أمامي.. ومع كل صورة أسمع صوت ابنتي يتردد.. اتق الله.. اتق الله.. وهنا.. ارتفع صوت الأذان.. اهتزت جوانحي.. ارتعدت هرائصي.. رعشة سرت في أطرافها.. جعل يردد: "الصلاة خير من النوم".. قلت: صدقت.. الصلاة خير من النوم.. أووووه.. لقد كنت نائماً كل هذه السنين.. **توضأت وخرجت إلى المسجد.. مشيت في الطريق وكأنني لا أعرفه..** كأن نسائم الفجر تعاتبني أين أنت؟

وطيور السماء تقول: مرحباً بالناثم الذي استيقظ أخيراً.. دخلت المسجد.. صليت ركعتين.. وجلست أقرأ القرآن.. تلعثت في القراءة.. منذ زمن لم أقرأ القرآن..

شعرت أن القرآن يسألني: لم هجرتني منذ سنوات.. ألست كلام ربك.. أخذت أردد في سورة الزمر: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً)..**عجبا.. جميعاً..** ما أرحم الله بنا..

تمنيت أن أستمري في القراءة.. لكن المؤذن.. أقام الصلاة.. تجمعت في مكاني لحظة ثم تقدمت مع الناس.. وقفت في الصف.. وكأنني غريب..

انتهت الصلاة.. جلست في المسجد حتى أشرقت الشمس.. عدت إلى البيت.. فتحت باب الغرفة.. ألقيت نظرة على زوجتي وسارة.. كانتا نائمتين.. تركتهما وخرجت إلى العمل..

ليس من عادتي الذهاب مبكراً إلى العمل.. إندهش الزملاء بوجودي.. انطلقت عبارات التهنية ممزوجة بالسخرية..

لم أبال بما يقولون.. تسمرت عيناى على الباب.. أنتظر قدوم إبراهيم.. زميلي في المكتب.. والذي طالما نصحني..

إنه شخص طيب الأخلاق.. حسن المعاملة..

حضر إبراهيم.. فقممت من مكاني استقبله.. لم يصدق عينيه.. سألتني: أنت أحمد؟

قلت: نعم.. جذبت يده.. وقلت: أريد أن أحدثك..

قال: لا بأس.. نتحدث في المكتب.. قلت: لا.. نذهب إلى الاستراحة..

صمت إبراهيم.. وراح يصفى لكلماتي.. حدثته بحديث البارحة.. امتلأت عيناه بالدموع.. وابتسم ابتسامة عريضة.. قال لي:

ذاك نور أضاء قلبك فلا تطفئه بظلمة المعاصي..
كان يوماً خافلاً بالنشاط والجدية.. رغم أنني لم أتم منذ البارحة..
ابتسامة تعلو وجهي.. تفتان في العمل..
المراجعون يتجهون نحوي.. يطلبون مني مساعدتهم.. بعضهم قال لي:
ما هذا النشاط؟.. أجبت: إنها صلاة الفجر في المسجد..
مسكين إبراهيم.. كان يتحمل العبء الأكبر من العمل.. أما أنا فقد كنت أنا..
لم يشاك ولم يتذمر.. ياله من إنسان طيب.. نعم إنه الإيمان عندما تحالط
حلاوته القلوب..

مضى الوقت ولم أشعر بالتعب والإرهاق..
قال لي إبراهيم، أحمد.. يجب أن تذهب إلى البيت.. فإني لم تنم منذ
البارحة.. وسأقوم بعملك..
نظرت إلى الساعة.. لم يبق على أذان الظهر سوى دقائق.. قررت البقاء..
أذن المؤذن.. فسارعت إلى المسجد.. جلست في الصف الأول..
شعرت بالندم على الأيام التي كنت أهرب فيها من العمل وقت الصلاة..
بعد الصلاة انطلقت إلى البيت..
في الطريق انتابني شعور بالقلق.. ياترى كيف حال سارة؟..
شعرت بانقباض.. لا أدري لماذا؟..
أحسست أن الطريق هذه المرة طويل.. ازداد الخوف.. رفعت رأسي إلى السماء..
دعوت الله أن يعجل بشفاء ابنتي..
وصلت إلى البيت.. فتحت الباب.. ناديت زوجتي.. لم أسمع جواباً..
دخلت الغرفة مسرعاً..
زوجتي منطوية على نفسها
تبكي..

التفتت إلي.. صرخت وهي
تبكي: لقد ماتت سارة..
لم أتبين ما تقول.. اندفعت
نحو سارة.. ضممتها إلى
صدري.. حاولت حملها..
سقطت يدها نحو الأرض..
جسمها بارد.. كذلك يدها
وقد ماها.. نبضها.. أنفاسها..
لم أسمع شيئاً..
نظرت إلى وجهها.. نور
يتلاها.. كأنه كوكب دري..



ايقظتها.. حركتها.. هزرتها..

صرخت أمها، سارة.. سارة.. لقد ماتت.. ماتت.. وانخرطت في البكاء..

لم أصدق ما أرى.. كأنه حلم.. انهمرت الدموع من عيني.. أخذت أشهق..

أنظر إلى وجهها الجميل.. وشعرها الناعم..

أقبل فمها الصغير.. كأنها تردد الآن، عيب عليك.. عيب عليك.. يا بابا..

تذكرت أن هذه مصيبة.. أخذت أردد.. لا حول ولا قوة إلا بالله..

إنا لله وإنا إليه راجعون..

اتصلت بابراهيم.. قلت له: تعال فوراً.. لقد ماتت سارة..

النساء في الداخل مع زوجتي يغسلن البنتي..

انتهين من تغسيلها.. لفن على جسدها الطاهر خرقة بيضاء..

نادتني زوجتي..

دخلت كي أودع سارة الوداع الأخير.. كدت أسقط على الأرض.. تماسكت..

قبلتها على جبينها..

عاهدتها على الثبات حتى الممات.. نظرت إلى أمها.. فإذا هي زائفة العينين..

شاحبة الوجه.. تنتفض..

قلت لها، اتحزني.. فقد ذهبت إلى الجنة بإذن الله.. هناك سنلتقي.. فشمري

كي تشفع لنا.. ثم قرأت قوله تعالى: (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان

ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين)..

بكت الأم وبكيت أنا..

صلينا عليها صلاة الجنازة.. ثم سرنا بها إلى المقبرة..

انظر إلى الجنازة وكأنني أنظر إلى النور الذي أضاء لي حياتي..

وصلنا المقبرة.. المكان موحش.. مخيف.. توجهنا إلى القبر..

وقضت على شفير القبر.. هنا سأضع البنتي.. أمسك ابراهيم بكتفي

وقال: اصبر يا أحمد..

نزلت إلى القبر..

إنها دارك يا أحمد.. ربما اليوم وربما غداً.. ماذا أعددت لهذه الدار..

ناداني ابراهيم: أحمد خذ البنت.. وضعتها على صدري.. وددت لو أدفنها فيه..

ضممتها.. قبلتها..

ثم وضعتها على شقها الأيمن.. وقلت: بسم الله وعلى ملة رسول الله..

صفت اللين.. سددت كل المنافذ..

خرجت من القبر.. بدأ الناس يهيلون التراب.. لم أملك دموعي..

.. ذكريات تائب ..

هو شيخ كبير.. نجلس إليه.. بعدما كبر سنه.. ورق عظمه.. وكف بصره.. وهو يحكي ذكريات شبابه.. نجلس إلى كعب بن مالك رضي الله عنه.. وهو يحكي ذكرياته.. في تخلفه عن غزوة تبوك.. وكانت آخر غزوة غزاها النبي ﷺ..

أذن النبي ﷺ للناس بالرحيل وأراد أن يتأهبوا أهبة غزوهم.. وجمع منهم النفقات لتجهيز الجيش.. حتى بلغ عدد الجيش ثلاثين ألفاً.. وذلك حين طابت الظلال والثمار..

في حر شديد.. وسفر بعيد.. وعدو قوي عنيد.. وكان عدد المسلمين كثيراً.. ولم تكن أسماؤهم مجموعة في كتاب..

قال كعب - كما في الصحيحين - :

وأنا أيسر ما كنت.. قد جمعت راحلتين.. وأنا أقدر شيء في نفسي على الجهاد.. وأنا في ذلك أصغي إلى الظلال.. وطيب الثمار..

فلم أزل كذلك.. حتى قام رسول الله ﷺ غادياً بالغداة..

فقلت: أنطلق غداً إلى السوق فأشتري جهازي.. ثم ألحق بهم..

فانطلقت إلى السوق من الغد.. فعسر علي بعض شأني.. فرجعت..

فقلت: أرجع غداً إن شاء الله فألحق بهم.. فعسر علي بعض شأني أيضاً..

فقلت: أرجع غداً إن شاء الله.. فلم أزل كذلك..

حتى مضت الأيام.. وتخلفت عن رسول الله ﷺ..

فجعلت أمشي في الأسواق.. وأطوف بالمدينة..

فلا أرى إلا رجلاً مقموصاً عليه في النفاق.. أو رجلاً أعمى أو أعرج قد عذره الله..

نعم تخلف كعب في المدينة..

أما رسول الله ﷺ فقد مضى

بأصحابه الثلاثين ألفاً..

حتى إذا وصل تبوك.. نظر

في وجوه أصحابه.. فإذا هو

يفقد رجلاً صالحاً ممن

شهدوا بيعة العقبة.. فيقول

ﷺ: ما فعل كعب بن مالك؟

فقال رجل: يا رسول الله..

خلفه برده والنظر في

عظميه..

فقال معاذ بن جبل: بنس

ما قلت.. والله يا نبي الله ما علمنا

عليه إلا خيراً..

فسكت رسول الله ﷺ..





قال كعب، فلما قضى النبي ﷺ غزوة تبوك.. وأقبل راجعاً إلى المدينة.. جعلت أتذكر.. بماذا أخرج به من سخطه.. وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي.. حتى إذا وصل المدينة.. عرفت أنني لا أنجو إلا بالصدق..

فدخل النبي ﷺ المدينة.. فبدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين.. ثم جلس للناس.. فجاءه المخلفون.. فطفقوا يعتذرون إليه.. ويحلفون له..

وكانوا بضعة وثمانين رجلاً.. فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم.. واستغفر لهم.. ووكل سرائرهم إلى الله..

وجاءه كعب بن مالك.. فلما سلم عليه.. نظر إليه النبي ﷺ.. ثم تبسم تبسم المفضب.. ثم قال له: تعال..

فأقبل كعب يمشي إليه.. فلما جلس بين يديه..

قال له ﷺ: ما خلطك.. ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟ قال: بلى.. قال: فما خلطك؟ فقال كعب: يا رسول الله.. إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا.. لرأيت أنني أخرج من سخطه بعذر.. ولقد أعطيت جدلاً..

ولكني والله لقد علمت.. أنني إن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به علي.. ليوشكن الله أن يسخطك علي..

ولئن حدثتك حديث صدق.. تجد علي فيه.. إني لأرجو فيه عفو الله عني.. يا رسول الله.. والله ما كان لي من عذر..

والله ما كنت قط أقوى.. ولا أيسر مني حين تخلفت عنك.. ثم سكت كعب.. فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه.. وقال:

أما هذا.. فقد صدقكم الحديث.. فقم.. حتى يقضي الله فيك..

فقام كعب يجر خطاه.. وخرج من المسجد مهموماً مكروباً لا يدري ما يقضي الله فيه.. فلما رأى قومه ذلك.. تبعه رجال منهم.. وأخذوا يلومونه.. ويقولون:

والله ما نعلمك أذنبت ذنباً قط قبل هذا.. إنك رجل شاعر.. أعجزت ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون.. هلا اعتذرت بعذر يرضى

عنك فيه.. ثم يستغفر لك.. فيغفر الله لك..

قال كعب: فلم يزالوا يؤنبونني.. حتى همت أن أرجع فأكذب نفسي.. **فقلت: هل نقي هذا معي أحد؟**

قالوا: نعم.. رجلان قالوا مثل ماقلت.. فقبل لهما مثل ماقبل لك..

قلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع.. وهلال بن أمية..

هَذَا هما رجلان صالحان قد شهدا بدرًا.. لي فيهما أسوة..

فقلت: والله لا أرجع إليه في هذا أبداً.. ولا أكذب نفسي..

ثم مضى كعب ﷺ.. حزينا كسير النفس.. وقعد في بيته..

فلم يمض وقت.. حتى نهى النبي ﷺ الناس عن كلام كعب وصاحبيه..

قال كعب: فاجتنبنا الناس.. وتغيروا لنا.. فجعلت أخرج إلى السوق.. فلا يكلمني أحد..
وتنكر لنا الناس.. حتى ما هم بالذين نعرف.. وتنكرت لنا الحيطان.. حتى ما هي بالحيطان التي نعرف.. وتنكرت لنا الأرض.. حتى ما هي بالأرض التي نعرف..
فأما صاحبائي فجلسا في بيوتهما يبكيان.. جعلاً يبكيان الليل والنهار.. ولا يظلمان رؤوسهما.. ويتعبدان كأنهما الرهبان..
وأما أنا فكانت أشب القوم وأجلدهم.. فكانت أخرج.. فأشهد الصلاة مع المسلمين.. وأطوف في الأسواق.. ولا يكلمني أحد.. وأتي المسجد فأدخل.. وأتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه.. فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه.. فأسارقه النظر.. فإذا أقبلت على صلاتي.. أقبل إلي.. وإذا التفت نحوه.. أعرض عني..

ومضت على كعب الأيام.. والألام تلد الألام..
وهو الرجل الشريف في قومه..
بل هو من أبغ الشعراء.. عرفه الملوك والأمراء..
وسرت أشعاره عند العظماء.. حتى تمنوا لقياءه..
ثم هو اليوم.. في المدينة.. بين قومه.. لا أحد يكلمه.. ولا ينتظر إليه..
حتى.. إذا اشتدت عليه الغربة.. وضائق عليه الكربة.. نزل به امتحان آخر..
هبينما هو يطوف في السوق يوماً.. إذا رجل نصراني جاء من الشام..
فإذا هو يقول: من يد لي على كعب بن مالك؟
فحلفق الناس يشيرون له إلى كعب.. فاتاه.. فناولته صحيفة من ملك غسان..
عجباً!! من ملك غسان!!



إذا قد وصل خبره إلى بلاد الشام.. واهتم به ملك الفساسنة.. فماذا يريد الملك؟

فتح كعب الرسالة فإذا فيها..
أما بعد.. يا كعب بن مالك..
إنه بلغني أن صاحبك قد جفأك وأقصاك..

ولست بدار مضيعة ولا هوان.. فالحق بنا نواسك..
فلما أتم قراءة الرسالة.. قال: **إنا لله.. قد طمع في أهل الكفر..**
هذا أيضاً من البلاء والشر..



ثم مضى بالرسالة فوراً إلى التنور.. فأشعله ثم أحرقها فيه..
ولم يلتفت كعب إلى إغراء الملك..

نعم فتح له باب إلى بلاط الملوك.. وقصور العظماء.. يدعونه إلى الكرامة والصحبة..
والمدينة من حوله تتجهمة.. والوجوه تعبس في وجهه.. يسلم فلا يرد عليه
السلام.. ويسأل فلا يسمع الجواب..

ومع ذلك لم يلتفت إلى الكفار.. ولم يفلح الشيطان في زعزعته.. أو تعبيده
لشهوته.. ألقى الرسالة في النار.. وأحرقها..



مضت الأيام تتلوها الأيام.. وانقضى شهر كامل.. وكعب على هذا الحال..

والحصار يشتد خناقته.. والضيق يزداد ثقله..

فلا الرسول ﷺ يمضي.. ولا الوحي بالحكم يقضي..

فلما اكتملت أربعون يوماً..

فإذا رسول من النبي ﷺ يأتي إلى كعب.. فيطرق عليه الباب..

فيخرج كعب إليه.. لعله جاء بالفرج.. فإذا الرسول يقول له:

إن رسول الله ﷺ يأمرُك أن تعتزل امرأتك..

قال: أطلقها.. أم ماذا؟ قال: لا.. ولكن اعتزلها ولا تقربها..

فدخل كعب على امرأته وقال: الحقني بأهلك..

فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر..

وأرسل النبي ﷺ إلى صاحبي كعب بمثل ذلك..

فجاءت امرأة هلال بن أمية.. فقالت:

يا رسول الله.. إن هلال بن أمية شيخ كبير ضعيف.. فهل تأذن لي أن أخدمه..؟

قال: نعم.. ولكن لا يقربتك..

فقالت المرأة: يا نبي الله.. والله ما به من حركة لشيء..

ما زال مكتئباً.. يبكي الليل والنهار.. منذ كان من أمره ما كان..



ومرت الأيام ثقيلة على كعب.. واشتدت الجفوة عليه.. حتى صار يراجع إيمانه..

يكلم المسلمين ولا يكلمونه.. ويسلم على رسول الله ﷺ فلا يرد عليه..

هالي أين يذهب..!! ومن يستشير؟

قال كعب رضي الله عنه: فلما طال عليّ البلاء.. ذهبت إلى أبي قتادة.. وهو ابن عمي..

وأحب الناس إليّ.. فإذا هو في حائط بستانه.. فتسورت الجدار عليه..

ودخلت.. فسلمت عليه.. فوالله ما رد علي السلام..

فقلت: أنشدك الله.. يا أبا قتادة.. أتعلم أني أحب الله ورسوله؟ فسكت.. فقلت:

يا أبا قتادة.. أتعلم أني أحب الله ورسوله؟ فسكت.. فقلت: أنشدك الله.. يا أبا

قتادة.. أتعلم أني أحب الله ورسوله؟ فقال: الله ورسوله أعلم..

سمع كعب هذا الجواب.. من ابن عمه وأحب الناس إليه.. لا يدري أهو مؤمن أم لا؟
 فلم يستطع أن يتجلد لما سمعه.. وفاضت عيناه بالدموع..
 ثم اقتحم الحائط خارجاً.. وذهب إلى منزله.. وجلس فيه.. يقليب طرفيه بين
 جدرانها.. لا زوجة تجالسها.. ولا قريب يؤنسها.. وقد مضت عليه خمسون
 ليلة.. منذ نهي النبي ﷺ الناس عن كلامهم..

...

وفي الليلة الخمسين.. نزلت توبتهم على النبي ﷺ في ثلث الليل..
 فقالت أم سلمة رضي الله عنها:

يا نبي الله.. ألا نبشر كعب بن مالك..

قال: إذا يحطمكم الناس.. ويمنعونكم النوم سائر الليلة..

فلما صلى النبي ﷺ الفجر.. أذن الناس بتوبة الله عليهم..

فانطلق الناس يبشرونهم..

قال كعب: وكنت قد صليت الفجر على سطح بيت من بيوتنا..

فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى.. قد ضاقت علي نفسي..

وضاقت علي الأرض بما رحبت..

وما من شيء أهم إلي.. من أن أموت.. فلا يصلي علي رسول الله ﷺ.. أو يموت..

فأكون من الناس بتلك المنزلة.. فلا يكلمني أحد منهم.. ولا يصلي علي..

فبينما أنا على ذلك..

إذ سمعت صوت صارخ.. على جبل سلع بأعلى صوته يقول:

يا كعب بن مالك!.. أبشر..

فخبرت ساجدا.. وعرفت أن قد جاء فرج من الله..

وأقبل إلي رجل على فرس..

والآخر صاح من فوق جبل..

وكان الصوت أسرع من

الفرس..

فلما جاءني الذي سمعت

صوته يبشرني.. نزعته له

ثوبي فكسوته إياهما

ببشرهما.. والله ما أملك

غيرهما.. واستعرت ثوبيين..

فلبستهما.. وانطلقت إلى

رسول الله ﷺ.. فتلقاني

الناس فوجاً.. فوجاً..

يهنئونني بالتوبة.. يقولون:

ليهنك توبة الله عليك..

حتى دخلت المسجد..

فسلمت على رسول الله ﷺ..



وهو يبرق وجهه من السرور.. وكان إذا سُرَّ استنار وجهه.. حتى كأنه قطعة قمر..
فقال لي، أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك..

قلت، أمن عندك يا رسول الله.. أم من عند الله؟

قال، بل من عند الله.. ثم تلا الآيات.. فلما جلست بين يديه.. قلت،

يا رسول الله! إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله.. وإلى رسوله..

فقال، أمسك عليك بعض مالك.. فهو خير لك..

فقلت، يا رسول الله! إن الله إنما نجاني بالصدق.. وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقاً ما بقيت..

نعم.. تاب الله علي كعب وصاحبه.. وأنزل في ذلك قرأنا يتلى..

فقال عز وجل، ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه

في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم

رؤوف رحيم﴾ وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما

رحبت وضائق عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم

ليتبوأوا إن الله هو التواب الرحيم﴾..

.. في بطن الحوت..

كل الناس يذكرون الله عند الشدائد..

لكن منهم من يذكره ويطيعه.. فإذا زالت الشدة عصاه ونساه..

ومنهم من يستمر صلاحه وتوبته..

يونس عليه السلام.. دعا قومه إلى الإيمان.. فأعرضوا وتكبروا.. فغضب.. وركب

البحر مع سفينته.. فلما ثقلت بهم خافوا أن يفرقوا جميعاً.. فعلموا أنه لا بد أن

يخففوا الحمل بالقاء أحد ركايبها إلى البحر.. عملوا القرعة مراراً فوقعت على

يونس.. ألقوه في البحر.. فالتقمه الحوت.. ثم نزل به إلى الأعماق..

كل شيء حدث بسرعة.. يونس في الظلمات..

تسمع حوله.. فإذا به يسمع تسبيح الحصى الذي في قعر البحر..

فانتفض.. (فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)..

فقرعت كلماته أبواب السماء.. فنزل عليه الضج..

هذا خبر يونس النبي عليه الصلاة والسلام..

أما يونس اليوم فيقول،

كنت شاباً أظن أن الحياة.. مال وفير.. وفراش وشير.. ومركب وطيء..

وكان يوم جمعة.. جلست مع مجموعة من رفقاء الدرب على الشاطئ.. وهم

كالعادة مجموعة من القلوب الغافلة..

سمعت النداء حي على الصلاة.. حي على الفلاح..

أقسم أنني سمعت الأذان طوال حياتي.. ولكنني لم أفقه يوماً معنى كلمة فلاح..
طبع الشيطان على قلبي.. حتى صارت كلمات الأذان كأنها تقال بلغة لا أفهمها..
كان الناس حولنا يقرشون سجاداتهم.. ويجتمعون للصلاة..

ونحن كنا نجهز عدة القوس وأنابيب الهواء..
استعداداً لرحلة تحت الماء.. لبسنا عدة القوس.. ودخلنا البحر.. بعدنا عن
الشاطئ.. حتى صرنا في بطن البحر..

كان كل شيء، على مايرام.. الرحلة جميلة..

وفي غمرة المتعة.. فجأة تمزقت القطعة المطاطية التي يطبق عليها الغواص
بأسنانه وشفتيه لتحول دون دخول الماء إلى الفم.. وتمده بالهواء من الأنبوب..
وتمزقت أثناء دخول الهواء إلى رئتي.. وهجأة أغلقت قطرات الماء المالح المتجرى
التنفسي.. وبدأت أموت..

بدأت رئتي تستغيث وتنفض.. تريد هواء.. أي هواء..

أخذت اضطر.. البحر مظلّم.. رفاقي بعيدون عني..

بدأت أدرك خطورة الموقف.. إنني أموت.. بدأت أشفق.. وأشرق بالماء المالح.. بدأ
شريط حياتي بالمرور أمام عيني.. مع أول شهقة.. عرفت كم أنا ضعيف..

بضع قطرات مالحة سلطها الله علي ليريني أنه هو القوي الجبار..

أمنت أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.. حاولت التحرك بسرعة للخروج من الماء.. إلا أنني
كنت على عمق كبير.. ليست المشكلة أن أموت.. المشكلة كيف سألقى الله؟

إذا سألني عن عملي.. ماذا سأقول؟

أما أول ما أحاسب عنه.. الصلاة.. وقد ضيعتها.. تذكرت الشهادتين.. فأردت أن
يختتم لي بهما..

هقلت أشهب.. فغص حلقى..

وكان يداً خفية تطبق على

رقبتي لتمنعني من نطقها..

حاولت جاهداً.. أشهب.. أشهب..

بدأ قلبي يصرخ: رب

ارجعون.. رب ارجعون..

ساعة.. دقيقة.. لحظة..

ولكن هيهات..

بدأت أفقد الشعور بكل

شيء.. أحاطت بي ظلمة

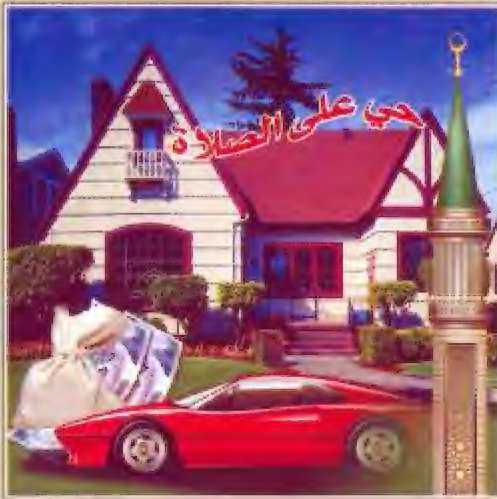
غريبة..

هذا آخر ما أتذكر..

لكن رحمة ربي كانت أوسع..

فجأة بدأ الهواء يتسرب إلى

صدري مرة أخرى..





انفشعت الظلمة.. فتحت عيني.. فإذا أحد الأصحاب.. يثبت خرطوم الهواء في فمي.. ويحاول إنعاشي.. ونحن مازلنا في بطن البحر..
 رأيت ابتسامة على محياه.. فهمت منها أنني بخير..
عندها صاح قلبي.. ولساني.. وكل خلية في جسدي..
 أشهد أن لا إله إلا الله.. وأشهد أن محمد رسول الله.. الحمد لله..
 خرجت من الماء.. وأنا شخص آخر.. تغيرت نظرتي للحياة..
 أصبحت الأيام تزيدني من الله قريبا.. أدركت سر وجودي في الحياة.. تذكرت قول الله (إلا ليعبدون)..

صحيح.. ما خلقنا عبدا.. مرت أيام.. فتذكرت تلك الحادثة.. فذهبت إلى البحر..
 ولبست لباس الغوص.. ثم أقبلت إلى الماء وحدي وتوجهت إلى المكان نفسه في بطن البحر.. وسجدت لله تعالى سجدة ما أذكر أنني سجدت مثلها في حياتي.. في مكان لا أظن أن إنسانا قبلي قد سجد فيه لله تعالى.. عسى أن يشهد علي هذا المكان يوم القيامة فيرحمني الله بسجدي في بطن البحر ويدخلني جنته اللهم آمين..

وغدرا تي وفجرا تي!!

ربنا أرحم بنا من آياتنا وأمهاتنا.. ومن سعة رحمته.. أنه عرض التوبة على كل أحد.. مهما أشرك العبد وكفر.. أو طغى وتجبر.. فإن الرحمة معروضة عليه..
 وياب التوبة مشرع بين يديه.. وانظر إلى ذلك الشيخ الهرم.. الذي.. كبر سنه.. وانحنى ظهره.. ورق عظمه..

أقبل على رسول الله ﷺ.. وهو جالس بين أصحابه يوما.. يجرح خطاه.. وقد سقط حاجباه على عينيه.. وهو يدعم على عصا.. جاء يمشي.. حتى قام بين يدي النبي ﷺ.. فقال بصوت تصارعه الألام: يا رسول الله.. أرايت رجلا عمل الذنوب كلها.. فلم يترك منها شيئا.. وهو في ذلك لم يترك حاجة.. ولا داجة.. أي صغيرة ولا كبيرة.. إلا أتاه.. لو قسمت خطيئته بين أهل الأرض لأوبقتهم.. فهل لذلك من توبة؟

فرفع النبي ﷺ بصره إليه.. فإذا شيخ قد انحنى ظهره.. واضطرب أمره..
 قد هدم مر السنين والأعوام.. وأهلكته الشهوات والألام..
 فقال له ﷺ: فهل أسلمت؟

قال: أما أنا.. فأشهد أن لا إله إلا الله.. وأنت رسول الله..
 فقال ﷺ: تفعل الخيرات.. وتترك السيئات.. فيجعلن الله لك خيرات كلهن..
فقال الشيخ: وغدرا تي.. وفجرا تي.. فقال: نعم..
فصاح الشيخ: الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر..
 فما زال يكبر حتى توارى عنهم..

الحديث، زوائد الطبراني والبزار، وقال المنذري، إسناده جيد قوي. وقال ابن حجر هو على شرط الصحيح.

.. هل تطرحه في النار؟ ..

الله أرحم بعباده.. من آبائهم وأمهاتهم..

في الصحيحين:

أن النبي ﷺ لما انتهى من حرب هوازن.. أتى إليه بعد المعركة.. بأطفال الكفار ونسائهم.. ثم جمعوا في مكان..

ها لتقت النبي ﷺ إليهم.. فإذا امرأة من السبي.. أم تكلى.. تجر خطاها.. تبحث عن ولدها.. وفلذة كبدها.. قد اضطرب أمرها.. وطار صوابها.. واشتد مصابها.. تطوف على الأطفال الرضع.. تنظر في وجوههم.. يكاد ثديها يتشجر من احتباس اللبن فيه..

تتمنى لو أن طفلها بين يديها.. تضمه ضمة.. وتشمه شمة.. ولو كلفها ذلك حياتها.. فبينما هي على ذلك.. إذ وجدت ولدها.. فلما رآته جف دمعها.. وعاد صوابها.. ثم انكبت عليه.. وانطرحت بين يديه.. وقد رحمت جوعه وتعبه.. وبكاءه ونصبه.. أخذت تضمه وتقبله.. ثم ألصقته بصدرها.. وألصقته ثديها.. فتخطر الرحيم الشفيق إليها.. وقد أضناها التعب.. وعظم النصب.. وقد طال شوقها إلى ولدها.. واشتد مصابه ومصابها.. فلما رأى ذلك.. وانكسارها.. وفجيعتها بولدها.. التفت إلى أصحابه ثم قال:

أترون هذه.. طارحة ولدها في النار..

يعني لو أشعلنا نارا وأمرناها أن تطرح ولدها فيها.. أترون أنها ترضى..

فعجب الصحابة الكرام.. كيف تطرحه في النار.. وهو فلذة كبدها.. وعصارة قلبها.. كيف تطرحه.. وهي تلثمه.. وتقبله.. وتغسل وجهه بدموعها.. كيف تطرحه.. وهي الأم الرحيمة.. والوالدة الشفيقة..

قالوا: لا.. والله.. يارسول الله.. لا تطرحه في النار.. وهي تقدر على أن لا تطرحه.. فقال ﷺ: والله.. لله.. أرحم بعباده من هذه بولدها..



.. في المستشفى ..

• دخلت على مريض في المستشفى.. فلما أقبلت إليه.. فإذا رجل قد بلغ من العمر أربعين سنة.. من أنصر الناس وجهه.. وأحسنهم قواماً.. لكن جسده كله مشلول لا يتحرك منه ذرة.. إلا رأسه وبعض رقبته.. لو أخذت فأساً وقطعت جسده من رجليه إلى صدره لما شعر بشيء.. لا يدري أنه خرج منه بول أو غائط إلا إذا شم الرائحة يلبسونه حفاظك كالأطفال يغيرونها كل يوم.. دخلت غرفته.. فإذا جرس الهاتف يرن.. فصاح بي وقال، يا شيخ أدرك الهاتف قبل أن ينقطع الاتصال..

فرقت ساعة الهاتف ثم قريتها إلى أذنه ووضعت مكددة تمسكها.. وانتظرت قليلاً حتى أنهى مكالمته.. ثم قال، يا شيخ.. أرجع السماعة مكانها.. فأرجعتها مكانها.. ثم سألته، منذ متى وأنت على هذا الحال؟ فقال، منذ عشرين سنة.. وأنا مشلول على هذا السرير..

• **وحدثني أحد الفضل**، أنه مر بغرفة في المستشفى.. فإذا فيها مريض يصيح بأعلى صوته.. ويئن أنينا يقطع القلوب..

قال صاحبي، قد دخلت عليه.. فإذا هو جسده مشلول كله.. وهو يحاول الالتفات فلا يستطيع..

فسألت الممرض عن سبب صياحه.. فقال،

هذا مصاب بشلل تام.. وتلف في الأمعاء.. ويعد كل وجبة غداء أو عشاء.. يصيبه عسر هضم..

فقلت له، لا تطعموه طعاماً ثقيلاً.. جنبوه أكل اللحم.. والرز..

فقال الممرض، أقدر ماذا نطعمه.. والله لا ندخل إلى بطنه إلا الحليب من خلال الأنابيب الموصلة بأنفه..

وكل هذه الآلام.. ليهضم هذا الحليب..

• **وحدثني آخر أنه مر بغرفة مريض مشلول أيضاً..** لا يتحرك منه شيء أبداً..

قال، فإذا المريض يصيح بالمارين.. قد دخلت عليه..

فرأيت أمامه لوح خشب عليه مصحف مفتوح.. وهذا المريض منذ ساعات.. كلما انتهى من قراءة الصفحتين أعادهما.. فإذا فرغ منهما أعادهما.. لأنه لا يستطيع أن يتحرك ليقلب الصفحة.. ولم يجد أحداً يساعده..

فلما وقفت أمامه.. قال لي، لو سمحت.. اقلب الصفحة..

فقلبتها.. فتהלلى وجهه.. ثم وجه نظره إلى المصحف وأخذ يقرأ..

فانفجرت باكياً بين يديه.. متعجباً من حرصه وغفلتنا..

• **وحدثني ثالث أنه دخل** على رجل مقعد مشلول تماماً في أحد المستشفيات.. لا يتحرك إلا رأسه..

فلما رأى حاله.. وأف به وقال، ماذا تتمنى.. فلن أن أمنيته الكبرى أن يشفى..

ويقوم ويقعد.. ويذهب ويجيء..

فقال المريض.. أنا عمري قرابة الأربعين.. وعندى خمسة أولاد..

وعلى هذا السرير.. منذ سبع سنين.. والله لا أتمنى أن أمشي.. ولا أن أرى أولادي.. ولا أن أعيش مثل الناس.. قال، عجباً! إذن ماذا تتمنى؟ فقال، أتمنى أنى أستطيع أن الصق هذه الجبهة على الأرض.. وأسجد كما يسجد الناس..

• وأخبرني أحد الأطباء، أنه دخل في غرفة الانعاش على مريض.. فإذا شيخ كبير.. على سرير أبيض وجهه يتألاً نوراً.. قال صاحبي، أخذت أقلب ملفه.. فإذا هو قد أجريت له عملية في القلب.. أصابه نزيف خلالها.. مما أدى إلى توقف الدم عن بعض مناطق الدماغ.. فأصيب بغيوبة تامة..

وإذا الأجهزة موصلة به.. وقد وضع على فمه جهاز للتنفس الصناعي يدفع إلى رنتيه تسعة أنفاس في الدقيقة.. كان بجانبه أحد أولاده.. سأله عنه..

فأخبرني أن أباه مؤذن في أحد المساجد منذ سنين..

أخذت أنظر إليه.. حركت يده.. حركت عينه.. كلمته.. لا يدري عن شيء أبداً.. كانت حالته خطيرة..

اقترب ولده من أذنه وصار يكلمه.. وهو لا يعقل شيئاً..

فبدأ الولد يقول.. يا أبى.. أمي بخير.. وإخواني بخير.. وخالي رجع من السفر.. واستمر الولد يتكلم.. والأمر على ما هو عليه.. الشيخ لا يتحرك.. والجهاز يدفع تسعة أنفاس في الدقيقة..

وقباًة قال الولد.. والمسجد مشتاق إليك.. ولا أحد يؤذن فيه إلا هالان.. ويخطئ في الأذان.. ومكانك في المسجد فارغ..

فلما ذكر المسجد والأذان..

اضطرب صدر الشيخ.. وبدأ

يتنفس.. فنظرت إلى الجهاز

فإذا هو يشير إلى ثمانية

عشر نفساً في الدقيقة..

والولد لا يدري!!

ثم قال الولد: وابن عمي

تزوج.. وأخي تخرج..

فهذا الشيخ مرة أخرى..

وعادت الأنفاس تسعة..

يدفعها الجهاز الآلي..

فلما رأيت ذلك أقبلت إليه..

حتى وقفت عند رأسه..

حركت يده..



عينه.. هزرتة.. لأشيء.. كل شيء ساكن.. لا يتجاوب معي أبداً.. تعجبت..
 قرئت فمي من أذنه ثم قلت: الله أكبرررر.. حي على الصلاة.. حي على الفلاح..
 وأنا أسترق النظر إلى جهاز التنفس.. فإذا به يشير إلى ثمان عشرة نفس في الدقيقة..
فله درهم من مرضى.. بل والله نحن المرضى.. رجال قلوبهم معلقة بالمساجد..
 نعم.. رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة
 يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار • ليجزئهم الله أحسن ما عملوا
ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ..
 هذا حال أولئك المرضى..

فانت يا سليماً من الأمراض والأسقام.. يا معافي من الأدوية والأورام..
 يا من تتقلب في النعم.. ولا تخشى النقم..
 ماذا فعل الله بك فقابلته بالعصيان.. بأي شيء أذاك.. أليست نعمه عليك
 تنرى.. وأفضاله عليك لا تحصى؟ أما تخاف.. أن توقف بين يدي الله غداً..
فيقول لك: عبدي ألم أصح لك في بدنك.. وأوسع عليك في رزقك.. وأسلم لك
سمعك ويصرك.. فتقول بلى.. فيسألك الجبار:
فلم عصيتني بنعمي.. وتعرضت لغضبي ونقمي..
 فعندها تنشر في المأوى عيوبك.. وتعرض عليك ذنوبك..
 هتياً للذنوب.. ما أشد شؤمها.. وأعظم خطرها..
 وهل أخرج أبانا من الجنة إلا ذنب من الذنوب..
 وهل أغرق قوم نوح إلا الذنوب..
 وهل أهلك عاداً وثمود إلا الذنوب..
 وهل قلب على قوم لوط ديارهم.. وعجل لقوم شعيب عذابهم..
 وأمطر على أبرهة حجارة من سجيل.. وأنزل بضرعون العذاب الوبيل..
 إلا المعاصي والذنوب..

.. الجبال الراسيات ..

في أول بعثة النبي عليه الصلاة والسلام كان يدعو إلى الإسلام في مكة سراً..
 وكان المسلمون يختفون بدينهم..
فلما تكامل عددهم ثمانية وثلاثين رجلاً..
أنح أبو بكر ﷺ على رسول الله ﷺ في الظهور..
فقال ﷺ : **يا أبا بكر.. إنا قليل..**
 فلم يزل أبو بكر يلح عليه حتى خرج ﷺ.. إلى المسجد.. وخرج المسلمون معه..
 وتفرقوا في نواحي المسجد.. كل رجل في عشيرته..
وقام أبو بكر في الناس خطيباً.. فكان أول خطيب دعا إلى الله.. فلما رأى
 المشركون من يسفه آلهتهم.. ويتنقص دينهم..

ثاروا على أبي بكر وعلى المسلمين..
فجعلوا يضربونهم في نواحي المسجد ضرباً شديداً..
وأبو بكر يجهر بالدين.. فأحاط به جمع منهم..
فضربوه.. حتى وقع على الأرض.. وهو كهل قد قارب عمره الخمسين سنة..
ودنا منه الفاسق عتية بن ربيعة.. وجعل يبطأ على بطنه وصدره.. ويضربه
بثعلبين مخصوفين.. ويحرقهما على وجهه.. حتى مرق لحم وجهه.. وجعلت
دماؤه تسيل.. حتى ما يعرف وجهه من أنفه.. وأبو بكر مغمى عليه..
فجاءت قبيلته بنو تميم يتعادون.. ودفعوا المشركين عنه..
وحملوه في ثوب.. ولا يشكون في موته.. حتى أدخلوه منزله..
وقعد أبوه وقومه عند رأسه.. يكلمونه فلا يجيب..
حتى إذا كان آخر النهار.. أفاق.. وفتح عينيه.. فكان أول كلمة تكلم بها أن قال،
ما فعل رسول الله ﷺ؟..
فغضب أبوه وسبه.. ثم خرج من عنده..
فقدت أمه عند رأسه.. تجتهد أن تطعمه أو تسقيه.. وتلخ عليه..
وهو يردد: ما فعل رسول الله ﷺ.. فقالت، والله مالي علم بصاحبك.. فقال،
أذهبني إلى أم جميل بنت الخطاب.. فسليها عنه.. وكانت أم جميل مسلمة تكتم
إسلامها.. فخرجت أمه حتى جاءت أم جميل فقالت، إن أبا بكر يسألك عن
محمد بن عبد الله؟
فخافت أم جميل أن يكتشفوا إسلامها.. فقالت، ما أعرف أبا بكر.. ولا محمداً..
ولكن إن أحببت مضيت معك إلى ابنك..
قالت، نعم.. فمضت معها..



فلما دخلت على أبي بكر..
وجدته صريعاً دنفاً.. ممرق
الوجه.. ودماؤه تسيل..
فبككت وقالت، والله إن قوما
نألوا هذا منك لأهل فسق
وكفر.. واني لأرجو أن ينتقم
الله لك منهم..
فالتفت إليها أبو بكر.. وما يكاد
يطبق.. فقال، يا أم جميل.. ما
فعل رسول الله ﷺ؟..
فانظرت أم جميل إلى أم أبي
بكر وكانت لم تسلم بعد..
فخشيت أن تخبر الكفار
بأسرار المسلمين..

فقالت أم جميل لأبي بكر: هذه أمك تسمع..

قال: فلا شيء عليك منها..

قالت: رسول الله ﷺ سالم صالح.. قال: فأين هو؟

قالت: في دار أبي الزرقم..

فقالت أمه: قد عرفت خبر صاحبك.. هكّل واشرب الآن..

فقال: لا.. إن لله علي أن لا أذوق طعاماً أو شرباً.. حتى آتي رسول الله ﷺ.. فأراه بعيني..

هأ مهلتاه.. حتى إذا أظلم الليل.. وهذا الناس.. حاول أن يقوم.. فلم يستطع..

خرجت به أمه وأم جميل يتكنّ عليهما.. حتى أدخلتاها على رسول الله ﷺ..

فلما رآه النبي عليه الصلاة والسلام.. أكب عليه يقبله.. وأكب عليه المسلمون..

ورق له رسول الله ﷺ رقة شديدة..

وأبو بكر يقول: بأبي وأمي أنت يارسول الله.. ليس بي من بأس.. إلا ما نال

الفسق من وجهي..

ثم قال أبو بكر: يارسول الله.. هذه أمي برة بولدها.. وأنت رجل مبارك..

فادعها إلى الله عز وجل.. وادع الله لها.. عسى الله أن يستنقذها بك من النار..

فدعا لها رسول الله ﷺ.. ثم دعاها إلى الله.. فأسلمت..

فانظر إلى هذا الجبل الراسي.. أبي بكر رضي الله عنه.. وتأمل في حرصه على الدعوة إلى الله..

واعجب من قوة ثباته على الدين..

فهل سألت نفسك - وسألتها - ماذا قدمت للإسلام؟ كم شخصاً اهتدى على

يدك؟ هل تحملت البلاء في سبيل الله.. هل تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر؟

كن شجاعاً بطلاً.. كالجبال الراسيات والله يعينك ويسددك..

.. قال: معاذ الله ..

كان شاباً فقيراً.. يعمل بائعاً.. يتجول في الطرقات..

وكانت هي امرأة فارغة.. لا تكف عن التعرض للحرام.. كانت مصيدة للشيطان..

مر ذات يوم بجانب بيتها.. أظلت من طرف الباب وسألتها عن بضاعتها

فأخبرها.. طلبت منه أن يدخل لتري البضاعة.. فلما دخل أغلقت الباب.. ثم

دعته إلى الحرام.. فصاح بها.. معاذ الله..

وتذكر حاله عندما تذهب الذات.. وتبقى الحسرات.. تذكر يوم تشهد عليه

أعضاؤه التي متعها بالزنا.. رجلاه التي مشى بها.. يده التي لمس بها.. لسانه

الذي تكلم به.. بل تشهد عليه.. كل ذرة من ذراته.. وكل شعرة من شعراته..

تذكر حرارة النيران.. وعذاب الرحمن..

يوم يعلق الزناة في النار.. ويضربون بسياط من حديد.. فإذا استغاث أحدهم

من الضرب.. نادته الملائكة: أين كان هذا الصوت وأنت تضحك.. وتصرح..

وتصرح.. ولا تراقب الله ولا تستحي منه..!!

تذكر قول النبي عليه الصلاة والسلام، (يا أمة محمد.. والله إنه لا أحد أغير من الله.. أن يزني عبده.. أو تزني أمته.. يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم.. لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً) ..

تذكر يوم رأى النبي عليه الصلاة والسلام في منامه رجالاً ونساء عراة في مكان ضيق مثل التنور.. أسفله واسع وأعلاه ضيق.. وهم يصيحون ويصرخون.. وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم.. فإذا أتاهم ذلك الלהب صاحوا من شدة حرقه.. فقال ﷺ: من هؤلاء يا جبريل؟

قال: هؤلاء الزناة والزواني.. فهذا عذابهم إلى يوم القيامة..

ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.. فسأل الله العضو والعافية.. قالت له نفسه: افعل وتب.. قال.. أعوذ بالله.. كيف اهتكت ستر ربي.. كيف أنظر إلى امرأة لا تحل لي والله عز وجل من فوقنا.. ينظر إلينا.. كيف نختفي من الخلق.. ونفجر أمام الخالق.. فبقي ساكناً يفكر في مخرج.. ويتنظر على الباب.. فصاحت به الصاحرة والله إن لم تفعل ما أريد منك صرخت.. فيحضر الناس فأقول: هذا الشاب.. هجم علي في داري.. فما ينتظرك بعدها إلا القتل أو السجن.. فأخذ الشاب العفيف يرتجف.. خوفها بالله فلم تنزجر..

فلما رأى ذلك.. فكر في حيلة يتخلص بها.. فقال: أريد الخلاء.. الحمام.. فأشارت له إليه..

فلما دخل الخلاء.. نظر إلى نوافذه فإذا هو لا يستطيع الهرب من خلالها.. ففكر في طريقة يتخلص بها..

فأقبل على الصندوق الذي يجمع فيه الغائط..

وجعل يأخذ منه ويلقي على ثيابه.. ويديه.. وجسده..

ثم خرج إليها.. فلما رآته صاحت.. وألقت في وجهه بضاعته.. وطردته من البيت..

فمضى يمشي في الطريق.. والصبيان يصيحون وراءه: مجنون.. مجنون..

حتى وصل بيته.. فأزال عنه النجاسة.. واغتسل..

فلم يزل يشم منه رائحة المسك.. حتى مات..

(ذكر القصة ابن الجوزي في المواعظ)





.. ينغمس في أنهارها ..

كان ماعز شاباً من الصحابة.. متزوجاً في المدينة..
وسوس له الشيطان يوماً.. وأغراه بجارية لرجل من الأنصار..
فخلأ بها عن أعين الناس.. وكان الشيطان ثالثهما.. فلم يزل يزين كلا منهما
لصاحبه حتى وقعا في الحرام..
فلما فرغ ماعز من جرمه.. تخلى عنه الشيطان.. فبكى وحاسب نفسه.. ولأمرها..
وخاف من عذاب الله.. وضافت عليه حياته.. وأحاطت به خطيئته.. حتى
أحرق الذنب قلبه..

فجا، إلى طبيب القلوب.. ووقف بين يديه وصاح من حر ما يجد وقال،
يا رسول الله.. إن الأبعد قد رزى.. فطهرني..
فأعرض عنه النبي ﷺ.. فجاء من شقه الآخر فقال: يا رسول الله.. زنيت..
فطهرني.. فقال ﷺ: ويحك ارجع.. فاستغفر الله وتب إليه.. فرجع غير بعيد..
فلم يطق صبراً..

فجاء إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله طهرني..
فقال رسول الله: ويحك.. ارجع فاستغفر الله وتب إليه..
قال: فرجع غير بعيد.. ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرني..
فصاح به النبي ﷺ.. وقال: ويلك.. وما يدريك ما الزنا؟
ثم أمر به فطرد.. وأخرج..

ثم أتاه الثالثة.. والرابعة كذلك.. فلما أكثر عليه..
سأل رسول الله ﷺ قومه: أيه جنون؟ قالوا: يا رسول الله.. ما علمنا به بأساً..
فقال: اعله شرب خمر؟ فقام رجل فاستنكهه وشمه فلم يجد منه ريح خمر..
فقال ﷺ: هل تدري ما الزنا؟

قال: نعم.. أتيت من امرأة حراماً، مثل ما يأتي الرجل من امرأته حلالاً..
فقال ﷺ: فما تريد بهذا القول؟ قال: أريد أن تطهرني..
قال ﷺ: نعم.. فأمر به أن يرجم.. فرجم حتى مات..
فلما صلوا عليه ودفنوه مر النبي ﷺ على موضعه مع بعض أصحابه..
فسمع النبي ﷺ رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه:
انظر إلى هذا.. الذي ستر الله عليه ولم تدعه نفسه حتى رجم الكلاب..
فسكت النبي ﷺ.. ثم سار ساعة.. حتى مر بجيفة حمار.. قد أحرقته الشمس
حتى انتفخ وارتفعت رجلاه.. فلما رآه رسول الله ﷺ قال: أين هذان وفلان؟
قالا: نحن ذان.. يا رسول الله..
قال: انزلا.. فكلا من جيفة هذا الحمار..

قالا: يا نبي الله!! غضر الله لك.. من يأكل من هذا؟
 فقال ﷺ: ما نلتما.. من عرض أخيكما أنفا أشد من أكل الميتة.. لقد تاب توبة لو قسمت
 بين أمة لوسعتهم.. والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها..
فطوبى.. لما عزين مالك.. نعم وقع في الرزق.. وهلك الستر الذي بينه وبين ربه..
لكنه تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم..
 (أصل قصته في الصحيحين وسقته من مجموع رواياتها)..

.. المغني ..

قال وهو يدافع عبراته كانت قد وقفت على النافذة تراقبني بعينين دامعتين..
 تلوح بيديها اللتين أهزلهما مر السنين..
 كانت تدافع عبراتها.. حتى غلبها البكاء.. فبككت..
وقفت أنظر إليهما.. نشيجها يصل إلى مسمعي.. تكن المعاصي الجاثمة على
 صدري حالت بينه وبين الوصول إلى قلبي القاسي..
لم أرحم توسلاتها بالبقاء معها.. ولا لتعاقب جامعة هي نفس المدينة..
 أناانية.. حب للذات.. بحث عن حرية مزعومة.. وشخصية مستقلة بذاتها..
 بل شهوات وملذات.. وشياطين من الإنس والجن يوازر بعضهم بعضاً..
 هروب من نصائحها ومواعظها.. من عطفها وشفقتها.. وخوفها أن انحرف..
 تركتها وهي واقفة تودعني.. غبت عنها وهي لم تفارق مكانها.. وداعاً أمي..
مرت علي الأيام وأنا غائب عنها لم أعد أسمع عند خروجي: هي حفظ الله يا
ولدي.. إلى أين تذهب يا ولدي؟
 وهناك.. لم أعد أسمع: لماذا تأخرت يا ولدي..
 انطلقت في حياة اللهو

والترف.. حياة الغفلة
 والخوض في المعاصي
 والآثام..

صوتي الجميل أغرى رفقاء
 السوء الذين زينوا لي
 القناء..

بدأت أغني وشياطين الأنس
 يغدقون عبارات الثناء التي
 لامست قلبي..

إلى أن جاء ذلك اليوم الذي
 دعوت فيه لكي أغني على
 المسرح.. عشت صراعاً
 رهيباً فلا زال الحياء
 يحتل من قلبي مساحة



صغيرة.. فعمشت بين الرفض والمواقفة لحظات.. فقلبي يعاتبني، لا لست من يقف ليغني كما يفعل الفسقة.. لكن نفسي توبخني وتلومني؛ هذه فرصتك لاتضيعها سوف تصبح مشهوراً... وبعد عناء وتردد وافقت..

صعدت على المسرح ولا زال للحيا: بقية.. لكنه رحل مع أول كلمة تغنيت بها.. اهتزت القاعة طريراً.. وتمايلت الأجساد نشوة.. عبارات الثناء والمدح تستحطني على المواصله كلما سكنت..

لتمضي تلك الليلة ولتقضي على ماتبقى من إيمان..

رفقاء السوء من حولي قد ازدادوا.. الدعوات كثرت.. تنقلت من قاعة إلى قاعة.. تنقلت بين أصناف المعاصي والآثام.. سهرات خاصة وعامة..

قدمت لي دعوة للمشاركة في حفل غنائي في أحد القصور.. قدمت بعض الأغاني والتي تفاعل معها الجمهور وكنت بحق النجم القادم إلى الساحة الفنية.. تلقيت بعد هذه الحفلة دعوة من أحد أهل الفن يعرض عليّ وغبته في أن يتبناني فنياً ويهتم بي..

أخذت موعداً مع فنان مشهور عن طريق وكيل أعماله.. ليتم التنسيق بهذا الشأن.. وكان الموعد يوم الخميس..

الأيام تضي سريعة..

قبل الموعد بيومين رجعت إلى أهلي.. لشاركتهم في بعض المناسبات.. حركة دائبة في المنزل فزواج أخي يوم الخميس.. ويوم الأربعاء سيتم عقد قران الشنتين من اخواتي..

كانت أمي كالحلقة.. تنتقل من مكان إلى مكان.. لا تكاد الدنيا تسعها من الضح.. تردد الدعوات والتبريكات..

على شفيتها فرح لو قسم على العالم لا يتسم.. تواصل الليل بالنهار.. تعد العدة للفرح الكبير.. تطمئن على كل شيء.. لاتدع صغيرة ولا كبيرة إلا وتسأل عنها..

وجاء يوم الأربعاء سريعاً..

فإذا به يحمل الفاجعة التي غيرت مجرى حياتي.. الفاجعة التي أيقظتني من الغفلة.. أحييت قلبي الذي قد مات..

جاءت الفاجعة لتنتشلني من المستنقع القذر.. مستنقع الرذيلة.. مستنقع الفناء والطرب..

ماتت أمي.. كيف!! لا أدري.. المهم أنها ماتت..

بعد أن شاركتنا لحظات بسيطة من الضح.. تنحت قليلاً..

وألقت بجسدها المنهك على سريرها.. وكأنها تقول، وداعاً صغاري.. لقد كبرتكم.. تحول الضح إلى حزن.. وجوه صامتة قد تملكتها الدهشة وأجمتها الفاجعة..

لا ترى إلا دموعاً تنهمر.. وقلوباً ترتجف..
ولا تسمع إلا نشيجاً ينطلق من كل زاوية في المنزل.. كل شيء كان يبكي وينوح.. إلا
أمي فقد كانت على فراشها ساكنة.. لا تدري عما حولها..
جهزوا جنازتها.. بدؤوا بفسلونها..
دخلت عليها بعدما غسلت.. ألقيت عليها النظرة الأخيرة.. كان وجهها هادئاً..
كما كان في الحياة..
نظرت إلى قمها.. عينيها.. يديها.. كانت بالأمس تنهاني عن مفارقتها خوفاً
علي من الفساد..

قبلتها.. بكيت.. بكيت أخواتي حولي.. أخرجوني من غرفة التفسير..
مضت الساعات سريعة.. لم أشعر إلا وأنا أقف في الصف أصلي عليها.. جثتها هامدة..
والإمام يردد الله أكبر.. الله أكبر..
دعوت لها بكل جوارحي.. دعوت الله أن يغفر لي تقصيري في حقها..
حملت جنازتها مع من حملوا.. سرنا بها إلى القبر..
صليت أهيل عليها التراب.. اللهم ثبتها.. اللهم ثبتها..
مضى النهار مع المعزين.. لكن كان ليليل قول آخر..
أوبت إلى غرفتي مبكراً.. أطفأت الأنوار.. ألقيت بجسدي على الفراش..
صور من الماضي بدأت تظهر لي.. صوتها يملأ المكان.. يا ولدي قم.. لا تفتك الصلاة..
زماً لك في المسجد ينتظرونك..

يا ولدي أبق معي.. واصل دراستك هنا.. لا تسافر.. يا ولدي انتبه لنفسك..
حسرات وندم.. هموم وغموم أطبقت على صدري.. لم أستطع أن أتفقد..
صور من العقوق.. شريط

الذكريات يمر أمامي..
كانت تسعدني وأشقيها..
تفرحني وأبكيها.. تذكرت..
توسلاتها.. رجاءها.. لا
تذهب.. لا تفعل.. زفريات
وحسرات..

الله كم كنت عاقباً.. ترى
ماذا ينتظرنني في الآخرة؟!
(لا يدخل الجنة قاطع).. أي
قاطع رحم.. وأي رحم أعظم
من رحم أمي.. أخششى أن
يعجل لي العذاب في الدنيا
بعقوق أولادي.. صرخت..
سامحني يارب.. ياليت أمي



ترجع إلى الدنيا لأقبل رأسها.. بل لأغسل رجليها بدمعي.. ماذا فعلت المسكينة لأعاملها ببرد وكبر.. أليست هي التي حملت وأرضعت وسهرت..
 آآآ.. ما أفسى قلبي.. أما حالي مع أبي فقد كان أكثر سوءا..
 بكيت بكاءً مرأ.. قمت أصلي لكنني لم أستطع أن أقرا فقد استعجم لساني..
 كانت دموعي ساخنة فأذابت قسوة قلبي..
 سجدت لله بملت موضع سجودي بالدموع..
 التحيب مشفوع بدعوات صادقة تنطلق من الأعماق.. تؤمن عليها كل ذرة من ذرات جسدي..

عاهدت ربي على البر بها بعد موتها.. بالدعاء.. والصدقة.. والاستغفار..
 سألته أن يثبتني على ذلك.. رددت الدعاء: اللهم يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك..
 انتهيت من الصلاة..
 توجهت نحو الماضي الكئيب.. أقلب بين الدفاتر والأوراق..
 فهنا دفتر يحمل بعض الأغاني.. وهنا رسائل.. وهناك صور.. هذا شريط أغاني خاصة.. وهذه أشرطة لبعض الفساق..
 عمدت إلى جيبتي أخرجت ما فيه من بطاقات.. وجدت بطاقة الفنان الكبير..
 تذكرت موعده.. يوم الخميس عصرا..
 صرخت: أعوذ بالله.. مرقته بيدي..
 جمعت كل شيء يذكرني بالمعاصي والآثام.. وضعتها في كيس وفي اليوم الثاني كان الضراق بيني وبينها..

.. البطل ..

أما هو فقد كان شاباً نصرأ.. نشأ في بيت عز وسلطان..
 كان معظماً عند قومه.. مهيباً في بلده.. مقدماً بين أقرانه.. فريداً في زمانه..
 سلمان الفارسي عليه السلام..

كان مجوسياً.. يعبد النار وكان أبوه سيد قومه..
 وكان يحبه حبا عظيماً.. وقد حبسه في بيته عند النار..
 ومع طول ملازمته للنار.. اجتهد في المجوسية.. حتى صار قاطن النار الذي يوقدها..
 وكان لأبيه بستان عظيم.. يذهب إليه كل يوم.. فشغل الأب في بستان له يوماً في داره.. فقال لسلمان: فانتطلق إلى ضيعتي فاصنع فيها كذا وكذا..
 ففزع سلمان وخرج من حبسه.. وتوجه إلى البستان.. فبينما هو في طريقه إذ **مر بكيسة للنصارى..** فسمع صلاتهم فيها.. فدخل عليهم ينظر ماذا يصنعون.. وأعجبه ما رأى من صلاتهم.. ورغب في اتباعهم.. وقال في نفسه: هذا خير من ديننا الذي نحن عليه.. فسألهم: عن دينهم.. فقالوا: أصله بالشام.. وأعلم الناس به هناك..

فلما يزل عندهم.. حتى غابت الشمس.. وتأخر على أبيه..
فلما رجع إليه.. قال أبوه: أي بني أين كنت؟
قال: إني مررت على ناس يصلون في كنيسة لهم.. فأعجبني ما رأيت من أمرهم
وصلاتهم.. ورأيت أن دينهم خير من ديننا..
فضرع أبوه.. وقال: أي بني.. دينك ودين آباءك خير من دينهم..
قال: كلا والله.. بل دينهم خير من ديننا..
فخاف أبوه أن يخرج من دين المجوس.. فجعل في رجله قيداً.. ثم حبسه في البيت..
فلما رأى سلمان ذلك.. بعث إلى النصارى رسولا من عنده.. يقول لهم: إني قد
رضيت دينكم ورغبت فيه.. فإذا قدم عليكم ركب من الشام من النصارى..
فاخبروني بهم..
فما مضى زمن حتى قدم عليهم ركب من الشام.. تجار من النصارى.. فبعثوا إلى
سلمان فاخبروه..
فقال الرسول: إذا قضى التجار حاجاتهم وأرادوا الرجوع إلى الشام فاذنوني..
فلما أراد التجار الرجوع أرسلوا إليه.. وواعدوه في مكان.. فتحيل حتى فلك
القيد من قدميه.. ثم خرج إليهم فانطلق معهم إلى الشام..
فلما دخل الشام.. سألهم: من أفضل أهل هذا الدين علما؟
قالوا: الأسقف الذي في الكنيسة..
فتوجه إلى الكنيسة.. فاخبر الأسقف خبره.. وقال له: إني قد رغبت في هذا
الدين.. وأحب أن أكون معك.. أخدمك.. وأصلي معك.. وأتعلم منك..
فقال له الأسقف: اقم معي.. فمكث معه سلمان في الكنيسة..
فكان سلمان يحرص على الخيرات.. والتعبد والصلوات..

أما الأسقف فكان رجل سوء
في دينه.. كان يأمر الناس
بالصدقة ويرغبهم فيها..
فإذا جمعوا إليه الأموال..
اكتنزها لنفسه.. ولم يعطها
المساكين..

فأبغضه سلمان بغضاً
شديداً.. لكنه لا يستطيع أن
يخبر أحداً بخبره..
فالأسقف معظم عندهم..
أما هو فقريب.. قريب العهد
بدينهم..

فلما يلبث الأسقف أن مات..
فحزن عليه قومه..
 واجتمعوا ليدفنوه..
فلما رأى سلمان حزنهم عليه



قال: إن هذا كان رجل سوء.. يأمركم بالتصدق.. ويرغبكم فيها.. فإذا جئتموه بها.. اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً..

فقالوا: فما علامة ذلك؟

قال: أنا أدلكم على كنزه.. فمضى بهم حتى دلهم على موضع المال.. فحضروه.. فأخرجوا سبع قلال مملوغة ذهباً وفضة..

فقالوا: والله لا ندفعه أبداً.. ثم صلبوه على خشبة.. ورجموه بالحجارة.. وجاءوا برجل آخر.. فجعلوه مكانه في الكنيسة..

قال سلمان: فما رأيت رجلاً لا يصلي الخمس.. كان خيراً منه.. أعظم رغبة في الآخرة.. ولا أزهد في الدنيا.. ولا أداب ليلاً ولا نهاراً منه.. فأحببته حباً ما علمت أنني أحببته شيئاً كان قبله..

فلم يزل سلمان يخدمه.. حتى كبر وحضرته الوفاة..

فحزن على فراقه.. وخاف أن لا يثبت على الدين بعده.. فقال له:

يا فلان.. قد حضر بك ماترى من أمر الله.. فألى من توصي بي؟

قال: أي بني.. والله ما أعلم أحداً على ما كنت عليه.. لقد هلك الناس ويدلوا.. وتركوا كثيراً مما كانوا عليه..

إلا رجلاً بالموصل وهو فلان.. وهو على ما كنت عليه فالحق به..

فلما توفي الرجل العابد.. خرج سلمان من الشام إلى العراق..

فأتى صاحب الموصل..

فأقام عنده.. حتى حضرته الوفاة.. فأوصى سلمان لرجل بنصيبين..

فشد رحاله إلى الشام مرة أخرى..

حتى أتى نصيبين.. فأقام عند صاحبه طويلاً.. حتى نزل به الموت.. فأوصاه أن

يصاحب رجلاً بعمورية بالشام.. فذهب إلى عمورية.. وأقام عند صاحبه..

واكتسب حتى كانت عنده بقرات وغنيمة.. ثم لم يلبث العابد أن مرض ونزل به

الموت.. فحزن سلمان عليه.. وقال له مودعاً:

يا فلان إلى من توصي بي؟ فقال الرجل الصالح:

ياسلمان.. والله ما أعلم أصبح على مثل ما نحن فيه أحد من الناس أمرك أن

تأتيه.. يعني لقد غير الناس ويدلوا..

ولكنه قد أظلك زمان نبي يبعث بدين إبراهيم الحنيفية.. يخرج بأرض العرب

مهاجراً إلى أرض بين حرتين (أي أرضين سوداوين) بينهما نخل.. به علامات لا

تخفي: أنه يأكل الهدية.. ولا يأكل الصدقة.. بين كنفية خاتم النبوة..

إذا رأيته عرفته.. فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل..

ثم مات ودفن فمكث سلمان بعمورية ما شاء الله أن يمكث.. وهو يلتمس من

يخرج به إلى أرض النبوة.. فما زال كذلك.. حتى مر به نضر من قبيلة كلب..

تجار.. فسألهم عن بلادهم.. فأخبروه أنهم من أرض العرب..

فقال لهم: تحملوني إلى أرضكم.. وأعطيتكم بقراتي وغنيمتي؟
قالوا: نعم.. فأعطاهم إياها.. وحملوه معهم.. حتى إذا قدموا به وادي القرى..
طعموا في المال.. فظلموه وادعوا أنه عبد مملوك لهم.. وباعوه لرجل من
اليهود.. فلم يستطع سلمان أن يدفع عن نفسه..

فصار عند هذا اليهودي يخدمه..
حتى قدم على اليهودي يوماً ابن عم له من المدينة من يهود بني قريظة..
فاشترى سلمان منه..

فاحتمله إلى المدينة.. فلما رآها رأى نخلها.. وحجارتها.. عرف أنها أرض النبوة
التي وصفها له صاحبه.. فأقام بها.. وأخذ يترقب أخبار النبي المرسل..
ومرت السنوات..

وبعث الله رسوله عليه السلام فأقام بمكة ما أقام.. وسلمان لا يسمع له بذكر..
لشدة ما هو فيه من الخدمة عند اليهودي..

ثم هاجر   إلى المدينة ومكث بها.. وسلمان لا يدري عنه شيئاً..
فبينما هو يوماً في رأس نخلة لميده.. يعمل فيها.. وسيده جالس أسفل النخلة..
إذ أقبل رجل يهودي من بني عمه.. حتى وقف عليه.. فقال:

أي فلان.. قاتل الله بني قيلة.. يعني الأوس والخزرج.. إنهم الآن مجتمعون
على رجل بقباء.. قدم من مكة يزعمون أنه نبي.. فلما سمع سلمان ذلك..
انقض جسده.. وطار هواؤه.. وارتجف على النخلة.. حتى كاد أن يسقط على

صاحبه.. ثم نزل سريعاً وهو يصيح بالرجل: ماذا تقول؟ ما هذا الخبر؟
فغضب سيده.. ورفع يده فطعمه بها لطمة شديدة.. ثم قال:

ما لك ولهذا؟ أقبل على عمالك.. فسكت سلمان.. وصعد نخلاته يكمل عمله..
وقليه مشغول بخبر النبوة..

ويريد أن يتيقن من صفات
هذا النبي.. التي وصفها
صاحبه..

يأكل الهندية.. ولا يأكل
الصدقة.. وبين كتفيه خاتم
النبوة..

فلما أقبل الليل.. جمع ما كان
عنده من طعام.. ثم خرج
حتى جاء إلى رسول الله  ..
وهو جالس بقباء فدخل
عليه.. فإذا حوله نضر من
أصحابه.. فقال:

إنه بلغني أنكم أهل حاجة
وغريبة.. وقد كان عندي شيء
وضعتُه للصدقة.. فجئتمكم به..





ثم وضعه سلمان بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام.. واعتزل ناحية ينظر إليه ماذا يفعل؟

فنظر النبي ﷺ إلى الطعام.. ثم التفت إلى أصحابه.. فقال، كلوا..

وأمسك هو ﷺ فلم يأكل..

فلما رأى سلمان ذلك قال في نفسه: هذه والله واحدة.. لا يأكل الصدقة.. وبقي اثنان.. ثم رجع إلى سيده..

وبعدها بأيام.. جمع طعاماً آخر.. ثم أقبل على رسول الله ﷺ فسلم عليه.. ثم قال له، إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة.. وهذه هدية أهديتها كرامة لك.. ليست بصدقة..

ثم وضعها بين يديه ﷺ.. فمد يده إليها.. فأكل وأكل أصحابه..

فلما رأى سلمان ذلك قال في نفسه، هذه أخرى..

وبقيت واحدة.. أن ينظر إلى خاتم النبوة بين كتفيه ﷺ.. ولكن أنى له ذلك..

رجع سلمان إلى خدمة سيده.. وقلبه مشغول بحال رسول الله ﷺ..

فمكث أياماً.. ثم مضى إلى رسول الله ﷺ يبحث عنه.. فإذا هو في بقيع القرقيذ.. قد تبع جنازة رجل من الأنصار.. فجاءه فإذا حوله أصحابه.. وعليه شملتان مؤتزرأ بواحدة.. مرتدياً بالآخرى.. كلياًس الإحرام..

فسلم عليه.. ثم استدار ينظر إلى ظهره.. هل يرى الخاتم الذي وصف له صاحبه!!

فلما رأى النبي ﷺ استدارته عرف أنه يستثبت في شيء وصف له..

فحرك كتفيه.. فالتقى رداءه عن ظهره.. فنظر سلمان إلى الخاتم.. فعرفه.. فانكب عليه يقبله ويبكي..

فقال له النبي ﷺ تحول.. (أي اجلس أمامي).. فاستدار حتى قابل وجه النبي ﷺ..

فسأله ﷺ عن خبره.. فقص عليه قصته.. وأخبره أنه كان شاباً مترفاً.. ترك العز والسلطان.. طلباً للهداية والإيمان.. حتى تنقل بين الرهبان.. يخدمهم ويتعلم منهم.. واستقر به المقام عبداً مملوكاً لليهودي في المدينة..

ثم أخذ سلمان ينظر إلى رسول الله ﷺ.. ودموعه تجري على خديه.. فرحاً وبشراً..

ثم أسلم.. ونطق بالشهادتين.. ومضى إلى سيده اليهودي.. فزاده اليهودي شغلاً وخدمة.. فكان الصحابة يجالسون النبي ﷺ.. أما هو فقد شغله الرق.. عن مجالسته.. حتى فانتته معركة بدر ثم أحد..

فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك قال له، كاتب يا سلمان.. أي اشتري نفسك من سيدك بما تؤديه إليه..

فسأل سلمان صاحبه أن يكاتبه.. فشدد عليه اليهودي.. وأبى عليه إلا بأربعين أوقية من فضة.. وثلاثمائة نخلة.. يجمعها فسانل صغار.. ثم يفرسها.. واشترط عليه أن تحيا كلها..

فلما أخبر سلمان رسول الله ﷺ بما اشترط عليه اليهودي.. قال ﷺ لأصحابه،

أعيتوا أخاكم بالنخل..
فأعانه المسلمون.. وجعل الرجل يمضي إلى بستانه فيأتيه بما يستطيع من
 فسيلة نخل.. فلما جمع النخل..
فقال ﷺ : يا سلمان .. اذهب فقصر لها - أي احضر لها - لغرسها.. فإذا أنت أردت أن
 تضعها فلا تضعها حتى تأتيني فتؤذني..
 فبدأ سلمان يحضر لها.. وأعانه أصحابه.. حتى حضر ثلاثمائة حفرة..
 ثم جاء فأخبر النبي ﷺ .. فخرج ﷺ معه إليها.. فجعل الصحابة يقربون له
 فسيلة النخل.. ويضعه ﷺ بيده في الحفرة..
قال سلمان : فوالذي نفس سلمان بيده.. ما ماتت منها نخلة واحدة..
 فلما أدى النخل إلى اليهودي.. بقي عليه المال..
فأتى النبي ﷺ يوماً بذهب من بعض المغازي..
فالتفت إلى أصحابه وقال : ما فعل الفارسي المكاتب..
فدعوه له.. فقال ﷺ : خذ هذه فأد بها ما عليك يا سلمان..
 فأخذها سلمان.. فأدى منها المال إلى اليهودي..
 وعتق.. ثم لازم النبي ﷺ حتى مات..

.. مفتاح الشر..

قال لي:

كان لي صديق حميم في مكانة الأخ.. مات الأسبوع الماضي فجأة في حادث
 سير.. أسأل الله أن يرحمه ويتجاوز عنه.. ليست المشكلة أنه مات.. فكلنا
 سنموت.. لكن المشكلة.. أن هذا الصديق له خبرة في الإنترنت.. وكان متعلقاً
 باكتشاف المواقع الإباحية.. وجمع الصور الخليعة..
 حتى إنه صمم موقعاً إباحياً



يحتوي على صور خليعة..
 بل لديه مجموعة أشخاص..
 مسجلين في الموقع.. يرسل
 إلى يريدهم كل فترة ما
 يستجد لديه من صور..
 إباحية.. يرسلها الموقع إليهم
 ألياً..

ومات الرجل فجأة..

والمصيبة أننا لانعرف الرمز
 السري للموقع للتصرف فيه
 أو إغلاقه..
 كنت أفكر في ذلك.. وأنا
 أنتظر الصلاة عليه في
 المسجد..

السما، لاتمطر...!!

بنو إسرائيل.. أصابهم قحط على عهد موسى عليه السلام.. فاجتمع الناس إليه.. فقالوا: يا كريم الله.. ادع لنا ربك أن يسقينا الغيث..

فقام معهم.. وخرجوا إلى الصحراء.. وهم سبعون ألفاً أو يزيدون..

اجتمعوا بين يديه.. وقاموا يدعون.. وهم شعث غير.. عطاش جوعى..

وقام كريم الله يدعو: الهي.. اسقنا غيثك.. وانشر علينا رحمتك.. وارحمنا

بالأطفال الرضع.. والبهائم الرثع.. والمشايخ الركع..

فما زادت السماء إلا تقشعاً.. والشمس إلا حرارة..

فقال موسى: الهي.. اسقنا..

فقال الله: كيف أسقيكم؟ وهيكم عبد يبارزني بالمعاصي منذ أربعين سنة.. فناد

في الناس حتى يخرج من بين أظهركم.. فبسببه منعكم..

فصاح موسى في قومه: يا أيها العبد العاصي.. الذي يبارز الله منذ أربعين سنة..

أخرج من بين أظهرنا.. فبك متعنا المطر..

فنظر العبد العاصي.. ذات اليمين وذات الشمال.. فلم ير أحداً خرج.. فعلم

أنه المطلوب..

فقال في نفسه: إن أنا خرجت من بين هذا الخلق.. افتضحت على رؤوس

بنو إسرائيل..

وإن قعدت معهم منعوا المطر بسببي.. فانكسرت نفسه.. ودمعت عينه..

فادخل رأسه في ثيابه.. نادماً على فعاله.. وقال:

إلهي.. وسيدي.. عصيتك أربعين سنة.. وسترتني وأمهلتني.. وقد أتيتك طانعاً

فاقبلني.. وأخذ يبتهل إلى

خالقه..



فلم يستتم الكلام.. حتى

ارتفعت سحابة بيضاء..

فأمطرت كأفواء القرب..

فحجب موسى وقال: الهي..

سقيتنا.. وما خرج من بين

أظهرنا أحد..

فقال الله: يا موسى سقيتكم

بالذي به منعكم..

فقال موسى: الهي.. أرني هذا

العبد الطانع..

فقال: يا موسى.. إني لم

أفضحه وهو يعصيني..

أأفضحه وهو يطيعني..

القرار الشجاع..

الطفيل بن عمرو..

كان سيداً مطاعاً في قبيلته «دوس»..

قدم مكة يوماً في حاجة.. فلما دخلها.. رآه أشراف قريش.. فأقبلوا عليه..

قالوا له، من أنت؟ قال، أنا الطفيل بن عمرو.. سيد دوس..

فنظر بعضهم إلى بعض.. وخافوا أن يراه النبي عليه الصلاة والسلام فيدعوه

إلى الإسلام.. فإن أسلم هذا السيد.. قوي به الإسلام..

فاجتمعوا عليه وقال له أحدهم: إن ههنا رجلاً في مكة يزعم أنه نبي.. فاحذر

أن تجلس معه أو تسمع كلامه.. فإنه ساحر.. إن استمعت إليه ذهب بعقلك..

ثم قال له الآخر مثل ذلك.. وزاد الثالث عليهما.. وأكثروا الكلام..

قال الطفيل، هؤلاء ما زالوا بي يخوفونني منه.. حتى أجمعت ألا أسمع منه

شيئاً.. ولا أكلمه.. بل خشوت في أذني كرسفاً - وهو القطن - خوفاً من أن

يبلغني شيء من قوله.. وأنا مازيه..

فقدوت إلى المسجد.. فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة..

فقممت منه قريباً.. فأبى الله إلا أن يسمعنني بعض قوله..

فسمعت كلاماً حسناً..

فقلت في نفسي: والكل أمي! والله إنني لرجل لبيب.. ما يخض علي الحسن من

الصبيح.. فما يمتعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول.. فإن كان الذي به حسناً

قبيلته.. وإن كان قبيلها تركته..

فمكثت حتى قضى صلاته.. فلما قام منصرفاً إلى بيته تبعته.. حتى إذا دخل

بيته دخلت عليه.. فقلت، يا محمد.. إن قومك قالوا لي كذا وكذا..

ووالله ما برحوا يخوفونني منك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك..

وقد سمعت منك قولاً حسناً.. فأعرض عليّ أمرك..

فأبتهج النبي عليه الصلاة والسلام.. وفرح.. وعرض الإسلام على الطفيل..

وتلا عليه القرآن..

فتفكر الطفيل في حاله.. فإذا كل يوم يعيشه يزيد من الله بعداً..

وإذا هو بعيد حجراً.. لا يسمع دعاءه إذا دعاه.. ولا يجيب نداه إذا ناداه..

وهذا الحق قد تبين له..

ثم بدأ الطفيل يتفكر في عاقبة إسلامه..

كيف يغير دينه ودين آبائه؟.. ماذا سيقول الناس عنه؟!

حياته التي عاشها.. أمواله التي جمعها.. أهله.. ولده.. جيرانه.. خلانه..

كل هذا سيضطرب..

سكت الطفيل.. يفكر.. يوازن بين دنياه وآخره..

وفجأة إذا به يضرب بدنياه عرض الحائط.. نعم سوف يستقيم على الدين..
وليرض من رضى.. وليسخط من يسخط.. وماذا يكون أهل الأرض.. إذا رضى
أهل السماء؟..

ماله ورزقه بيد من في السماء..

صحته وسقمه بيد من في السماء..

منصبه وجاهه بيد من في السماء..

بل حياته وموته بيد من في السماء..

فإذا رضى أهل السماء.. فلا عليه ما فاتته من الدنيا..

إذا أحبه الله.. فليبغضه بعدها من شاء.. وليتكر له من شاء.. وليستهزئ به من شاء..

فليتك تخلو والحياة مريرة ••• وليتك ترضى والأذام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر ••• وبينى وبين العالمين خراب

إذا صبح منك الود فالكل هين ••• وكل الذي فوق التراب تراب

نعم.. أسلم الطفيل مكانه.. وشهد شهادة الحق..

ثم ارتفعت همته.. وثارت عزيمته.. فقال:

يا نبي الله.. إنني امرؤ مضاع في قومي.. وإنني راجع إليهم وداعيتهم إلى الإسلام..

ثم خرج الطفيل من مكة.. مسرعاً إلى قومه.. حاملاً هم هذا الدين..

يصعد به جبل.. وينزل به واد.. حتى وصل إلى ديار قومه..

فلما دخلها.. أقبل إليه أبوه.. وكان شيخاً كبيراً..

فقال الطفيل: إليك عني يا أبت.. فلست منك ولست مني..

قال: ولم يا بني؟ قال: أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ.. قال: ديني هو دينك..

قال: فاذهب فاغتسل وظهر ثيابك.. ثم اتنني حتى أعلمك مما علمت..

فذهب أبوه واغتسل وظهر

ثيابه.. ثم جاء فعرض عليه

الإسلام فأسلم..

ثم مشى الطفيل إلى بيته..

فأقبلت إليه زوجته..

فقال: إليك عني.. فلست

منك ولست مني.. قالت:

ولم؟ بأبي أنت وأمي..

قال: فرق بيني وبينك

الإسلام.. وتابعت دين

محمد ﷺ..

قالت: فديني دينك..

قال: فاذهبي فتطهري.. ثم

ارجعي إلي.. فولته ظهرها

ذاهبة..



وكان لهم صنم اسمه ذو الشرى.. يعظمونه ويرون أن من ترك عبادته أصابه الصنم بعقوبة.. فخافت المسكينة إن أسلمت أن يضرها أو يضر أولادها..
فرجعت إليه وقالت: يا أبي أنت وأمي.. أما تخشى على الصبية من ذي الشرى؟
 وذو الشرى صنم عندهم يعبدونه.. وكانوا يرون أن من ترك عبادته أصابه أو أصاب ولده يأذى..

فقال الطفيل: اذهبي.. أنا ضامن لك أن لا يضرهم ذو الشرى..
 فذهبت فاعتسلت.. ثم عرض عليها الإسلام فأسلمت..
 ثم جعل الطفيل يطوف في قومه.. يدعوهم إلى الإسلام بيتاً بيتاً.. ويقبل عليهم في نواديهم.. ويقف عليهم في طرقاتهم..
 لكنهم أبو إلا عبادة الأصنام..
 فغضب الطفيل.. وذهب إلى مكة..

فأقبل على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله.. إن دوساً قد عصت وأبت.. يا رسول الله.. هادع الله عليهم..

فتغير وجه النبي عليه الصلاة والسلام.. ورفع يديه إلى السماء..
 فقال الطفيل في نفسه.. هلكت دوس..
فإذا بالرحيم الشفيق ﷺ.. يقول: اللهم اهد دوساً.. اللهم اهد دوساً..
ثم التفت إلى الطفيل وقال: ارجع إلى قومك.. فادعهم.. وارفق بهم..
 فرجع إليهم.. فلم يزل بهم.. حتى أسلموا..
 ومرت الأيام.. ومات النبي عليه الصلاة والسلام.. ولا زال الطفيل ثابتاً بعده على الدين حتى استشهد في معركة اليمامة.

يرى مقعده في الجنة!!

شاب.. بلغ من عمره ستة عشر عاماً.. كان في المسجد يتلو القرآن.. وينتظر إقامة صلاة الفجر..

فلما أقيمت الصلاة.. رد المصحف إلى مكانه.. ثم نهض ليقف في الصف..
 فإذا به يقع على الأرض فجأة مغماً عليه..
 حمله بعض المصلين إلى المستشفى..

فحدثني الدكتور الذي عاين حالته.. قال:
 أتينا بهذا الشاب محمولاً كالجنازة.. فلما كشفت عليه فإذا هو مصاب بجلطة في القلب.. لو أصيب بها جمل لأردته ميتاً..
 نخرت إلى الشاب فإذا هو يصارع الموت.. ويودع أنفاس الحياة..
 سارعنا إلى نجاته وتنشيط قلبه..

أوقفت عنده طبيب الإسعاف يراقب حالته.. وذهبت لآ حضار بعض الأجهزة لمعاينته..
 ثم أقبلت إليه مسرعاً.. فإذا الشاب متعلق بيد طبيب الإسعاف..

والطبيب قد الصق أذنه بفم الشاب.. والشاب يهمس في أذنه بكلمات.. فوقفت أنظُر إليهما.. لحظات..

وفجأة أطلق الشاب يد الطبيب.. وحاول جاهداً أن يلتفت لجانبه الأيمن.. ثم قال بلسان ثقيل: أشهد أن لا إله إلا الله.. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.. وأخذ يكررها.. ونبضه يتلاشى.. وضربات القلب تختفي.. ونحن نحاول إنقاذه.. ولكن قضاء الله كان أقوى.. ومات الشاب..

عندها انفجر طبيب الإسعاف باكياً.. حتى لم يستطع الوقوف على قدميه.. فعجبنا وقلنا له: يا فلان! ما لك تبكي؟!.. ليست هذه أول مرة ترى فيها ميتاً.. لكن الطبيب استمر في بكائه ونحيبه..

فلما خف عنه البكا.. سألناه: ماذا كان يقول لك الفتى؟

فقال: لما رأك يا دكتور.. تذهب وتجيء.. وتأمر وتنهى.. علم أنك الطبيب المختص به.. فقال لي:

يا دكتور.. قل لصاحبك طبيب القلب.. لا يتعب نفسه.. لا يتعب.. أنا ميت لا محالة.. والله إنني أرى مقعدي من الجنة الآن..

على فراش الموت..

كتبت قصتها بيدها فقالت:

ما من يوم يمر علي إلا وأبكي.. كل يوم يمر أفكر فيه بالانتحار مرات..

ثم تعد حياتي تهمني أيداً.. أنفنى الموت كل ساعة..

ليتني لم أولد ولم أعرف هذه الدنيا.. بدايتي كانت مع واحدة من صديقاتي..

دعنتني ذات يوم إلى بيتها.. وكانت من الذين يستخدمون الإنترنت كثيراً..

وقد أثارت في الرغبة لمعرفة هذا العالم..

لقد علمتني كيف

يستخدم.. وكل شيء تقريباً

على مدار شهرين.. حيث

بدأت أزورها كثيراً..

تعلمت منها "التشات"

بكل أشكاله..

تعلمت منها كيفية التصفح

.. وبحث المواقع الجيدة

والرديئة..

في خلال هذين الشهرين

كنت في عراك مع زوجي كي

يدخل الإنترنت في البيت..



وكان ضد تلك المسألة .. حتى أقنعتني بأنني أشعر بالملل الشديد .. ونحن نسكن بعيداً عن أهلي ..

تحدثت بأن كل صديقاتي يستخدمن الإنترنت .. فلم لا أستخدمنه وأحادثهن من خلاله فهو أرخص من الهاتف ..

وافق زوجي .. وبالفعل لم يفعل ..

أصبحت بشكل يومي أحادث صديقاتي .. بعدها أصبح زوجي لا يسمع مني أي شكوى أو مطالب ..

أعترف بأنه ارتاح كثيراً من ازعاجي وشكواي ..

كان كلما خرج من البيت أقبلت كالجنونة على الإنترنت بشغف شديد ..

أجلس الساعات الطوال ..

بدأت أتمنى غيابه كثيراً ..

أنا أحب زوجي .. وهو لم يقصر معي ..

حتى وحالته المادية ليست بالجميدة مقارنة بأخواتي وصديقاتي .. إلا أنه كان يبذل لاسعادي بأي طريقة ..

ومع مرور الأيام وجدت الإنترنت يسعدني أكثر فأكثر .. أصبحت لا أهتم حتى بالسفر إلى أهلي .. وقد كنا كل أسبوعين نسافر لثرى أهلي وأهله ..

كان كلما دخل البيت فجأة ارتبكت فأطفي كل شيء عندي بشكل جعله يستغرب فعلي .. لم يكن عنده شك .. بل كان يريد أن يرى ماذا أفعل هي الإنترنت ..

ربما كان لديه فضول .. أو هي الغيرة .. حيث قد رأى يوماً محادثة صوتية لم أستطع إخفائها ..

بعدها كان يعاتبني ويقول: الإنترنت مجال واسع للمعرفة .. وليس مضيعة وقت .. مرت الأيام وأنا أزداد بالتشاش فتنة ..

تركزت مسألة تربية الأبناء للخدمة .. كنت أعرف متى يعود .. فأطفيء الجهاز قبل مجيئه ..

ومع ذلك أهملت نفسي كثيراً .. كنت في السابق أكون في أحسن شكل .. وأجمل زينة عند عودته من العمل ..

وبعد الإنترنت بدأ هذا يتلاشى حتى اختفى كلياً ..

كنت مشغوفة بالإنترنت .. لدرجة أنني ذهبت لحسنة بعد نومه .. وأرجع لحسنة قبل أن يصحو من النوم ..

ربما أدرك لاحقاً أن كل ما أفعله هي الإنترنت هي مضيعة وقت ولكن كان يشفق علي من الوحدة وبعد الأهل وقد استغللت هذا احسن استغلال ..

كان منزعاً لاهمالي الأولاد ..

ويخني كثيراً .. وكنت أظاھر بالبكاء .. وأقول أنت لا تعرف ماذا يدور في البيت

في غيبتك.. فأنا مهتمة بهم حريصة عليهم.. لكنهم يتعبوني.. باختصار أهملت كل شيء.. حتى زوجي.. كنت أهاتفه عشرات المرات وهو خارج البيت فقط أريد سماع صوته.. والآن وبعد الإنترنت أصبح لا يسمع صوتي أبداً إلا في حالة احتياج البيت لبعض الطلبات النادرة.. تولدت لدى زوجي غيرة كبيرة من الإنترنت..

مر علي ستة أشهر على هذا الحال..

بتيت علاقات مع أسماء مستعارة لا أعرف إن كانت لرجل أم أنثى.. كنت أحاور كل من يحاورني عبر التشات.. حتى وأنا أعرف أن الذي يحاورني رجل.. إلا أن شخصاً واحداً هو الذي أقبلت عليه بشكل كبير..

أحببت حديثه ونكته.. كان مسلياً.. بدأت العلاقة بيننا تقوى مع الأيام.. تكونت هذه العلاقة اليومية في خلال ٢ أشهر تقريباً..

كان يغمرني بكلامه الممسول..

ربما لم تكن كلماته جميلة إلى هذه الدرجة.. ولكن الشيطان جعلها بعيني كثيراً.. كانت محادثاتنا كلها كتابية.. عبر "التشات"..

في يوم من الأيام طلب سماع صوتي.. فرفضت.. أصر على طلبه.. هددني بتركي وأن يتجاهلني في التشات والإيميل..

حاولت كثيراً مقاومة هذا الطلب ولم أستطع.. لا أدري لماذا..

حتى قبلت مع بعض الشروط.. أن تكون مكالماتنا واحدة فقط..

استخدمنا برنامجاً للمحادثة الصوتية.. رغم أن البرنامج ليس بالجميل.. ولكن كان صوته جميلاً جيداً وكلامه عذياً جداً..

قال لي: صوتك غير واضح عبر الإنترنت.. أعطيني رقم هاتفك..

رفضت ذلك.. تعجبت من جرأته.. لم أجبره على مكالمته لمدة طويلة..

كنت أعلم والله أن

الشيطان الرجيم كان

يلأزمي ويحسن صوته

في نفسي ويصارع بقايا

العفة والدين وما أمك

من أخلاق..

حتى أتى اليوم الذي

كلمته من الهاتف.. ومن

هنا بدأت حياتي

بالانحراف.. لقد انجرفت

كثيراً.....



لن أطيل الكلام..

من يقرأ قصتي يشعر بأن زوجي مهمل في حقي.. أو كثير الغياب عن البيت.. ولكن العكس هو الصحيح.. كان يخرج من عمله ولا يذهب إلى أصدقائه كثيراً من أجلنا أنا وأولادي..

ومع مرور الأيام وبعد اندماجي بالإنترنت والتي كنت أقضي بها ما يقارب ٨ إلى ١٢ ساعة يومياً.. أصبحت أكره كثرة تواجده في البيت.. ألومه على هذا كثيراً.. أشجعه بأن يعمل في المساء حتى نتخلص من الديون المتراكمة والأقساط التي لا تنتهي.. وفعلنا أخذ بكلامي.. ودخل شريكاً مع أحد أصدقائه في مشروع صغير.. بعد ذلك.. أصبح الوقت الذي أقضيه في الإنترنت أكثر وأكثر.. رغم انزعاجه كثيراً من هاتورة الهاتف والتي تصل إلى الآلاف أحياناً.. إلا أنه لم يقدر على صدي عن هذا أبداً..

بدأت علاقتي بصاحبي تتطور.. أصبح يطلب رؤيتي بعد ما سمع صوتي مراراً.. بل ربما مل منه..

لم أكن أبالي كثيراً أو أحاول قطع اتصالي به.. بل كنت فقط أعاتبه على طلبه.. وربما كنت أكثر منه شوقاً إلى رؤيته..

لكنني كنت أترفع عن ذلك.. لا لشيء.. سوى أنني خائفة.. أصبح إلحاحه يزداد يوماً بعد يوم.. يريد فقط رؤيتي لا أكثر.. قبلت طلبه بشرط أن تكون أول وآخر مرة نتقابل فيها.. تواعدنا ثم التقينا في أحد الأسواق وكان الشيطان ثالثنا..

في الحقيقة من أول نظرة أعجبني.. بل زين الشيطان في عيني.. لم يكن زوجي قبيحاً.. لكن الشيطان يزين الحرام..

افترقنا.. بدأ بعدها يقوي علاقته بي.. لم يكن يعرف أنني متزوجة.. وأم أولاد.. رأني بعدها مراراً.. عرف عني كل شيء.. جعلني أكره زوجي.. اقترح علي الطلاق من زوجي لأتزوجه..

بدأت أكره زوجي.. بدأت اصطنع معه المشاكل كل يوم ليطلقني.. لم يحتمل زوجي هذه المشاكل التافهة.. وبدأ يكثر الغياب عن البيت.. حتى وقعت الكارثة..

قال لي زوجي يوماً إنه ذاهب في رحلة عمل لمدة خمسة أيام.. عرض علي أن أذهب مع الأولاد إلى أهلي.. أحسست أن هذا هو الوقت المناسب.. رفضت الذهاب لأهلي.. فوافق مضطراً وذهب مسافراً في يوم الجمعة.. وفي يوم الأحد كان الموعد..

اتفقت مع الشيطان أن أقابله في مكان بأحد الأسواق.. ركب مع سيارته ثم أنطلق بي يجوب الشوارع..

أول مرة في حياتي أخرج مع رجل غريب.. كنت قلقة وكان يبدو عليه القلق أكثر مني..

قلت له: لا أريد أن يطول وقت خروجي من البيت.. أخشى أن يتصل زوجي أو يحدث شيء..

قال لي: وإذا عرف زوجك!!.. ربما يطلقك وترتاحين منه..

لم يعجبني حديثه ونبرة صوته.. بدأ القلق يزداد عندي..

قلت له: يجب أن لا تبعد كثيراً.. لا أريد أن أتأخر عن البيت..

بدأ يشغلني بأحاديث جانبية..

وفجأة وإذا أنا في مكان لا أعرفه.. مظلّم وهي أشبه باستراحة أو مزرعة..

بدأت أصرخ به: ما هذا المكان؟ إلى أين تأخذني؟..

وما هي إلا ثوان معدودات.. وإذا بالسيارة تقف.. ورجل آخر يفتح علي الباب

ويخرجني بالقوة.. وثالث داخل الاستراحة.. ورابع رأيته جالساً.. روائح غريبة

تنبعث من المكان.. كان كل شيء ينزل علي كالصاعقة..

صرخت وبكيت واستعظفتهم..

أصبحت من شدة الرعب لا أفهم ما يدور حولي.. شعرت بضربة كف علي

وجهي.. وصوت يصرخ علي.. هزلزلني زلزالاً فقدت الوعي بعده من شدة

الخوف.. وقع ما وقع.. وصحوت بعدها من إغمائي..

تملكني رعب شديد.. جسمي يرتعش.. لم أتوقف عن البكاء..

ربطوا عيني.. وحملوني إلى السيارة.. ورموني في مكان قريب من البيت..

دخلت البيت بسرعة.. بقيت أبكي وأبكي حتى جفت دموعي..

أصبحت حبيسة

غرفتي.. لم أربأني..

ولم أدخل في فمي لقمة..

كرهت نفسي.. حاولت

الانتحار..

أبتائي لم أعد أعرفهم.. أو

أشعر بوجودهم..

رجع زوجي من السفر.. كانت

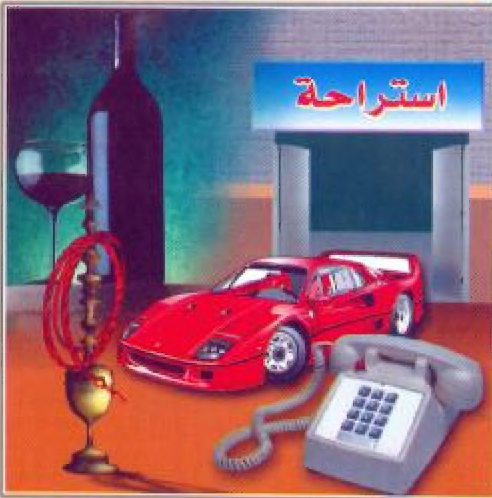
حالتي سيئة لدرجة أنه

أخذني إلى المستشفى بقوة..

أعطوني مهدئات ومقويات..

طلبت من زوجي أن يأخذني

إلى أهلي بأسرع وقت..





كنت أبكي كثيراً.. وأهلي لا يعملون شيئاً.. يعتقدون أن هنالك مشكلة بيني وبين زوجي..

حاول أبي أن يتفاهم مع زوجي.. ولم يصل معه إلى نتيجة.. لأن زوجي أصلاً لا يعلم شيئاً.. لا أحد يعلم ما الذي حل بي.. حتى أن أهلي عرضوني على بعض القراء.. اعتقاداً منهم بأنني مريضة.. باختصار.. أنا لا أستحق زوجي أبداً..

لذا طلبت منه الطلاق.. إكراماً لله والله.. فأنا لا أستحق أن أعيش بين الأشراف مطلقاً..

أنا التي حضرت قبري بيدي.. وصديق "التشات" لم يكن سوى صانداً لفريسة من البنات اللواتي يستخدمن التشات..

حزن زوجي لحالي.. بل ترك عمله أياماً ليكون قريباً مني.. رفض أن يطلقني.. كان المسكين يحبني.. تعب حتى كوّن أسرة وبيتاً ولا يريد أن يهدمه..

كنت سري في صدري.. وكل يوم يمر بي أزداد قهراً على قهري.. أي ذل أصابني **من أولئك الأندال..** كيف أكون مزبلة لشراب خمور ومتعاطي مخدرات يعبثون بجسدي كما شاءوا.. كم كنت غبية حمقاء.. كيف أمضيت أشهراً في صرف عواظي لمن لا يستحقها..

وها أنا أكتب هذه القصة من على فراش المرض والهزال.. بل لعله يكون فراش الموت..

.. اتخذه مهجوراً..

قالت:

كنت في الحرم المكي.. هي قسم النساء.. وإذا بامرأة تطرق على كتفي.. تردد ولكنها أعجمية: يا حاجة!! يا حاجة!!..

التفت إليها.. فإذا هي امرأة متوسطة السن.. غلب على ظني أنها تركية..

سلمت علي.. وقعت في قلبي محبتها! سبحان الله الأرواح جنود مجندة..

كانت تريد أن تقول شيئاً.. تحاول استجماع كلماتها.. أشارت إلى المصحف الذي كنت أحمله.. ثم قالت بعربية مكسرة:

أنت تقرأ في قرآن.. ١٩ قلت: نعم!.. وإذا بالمرأة.. يحمروا وجهها.. وتمتلئ عينها بالدموع.. قد هالني منظرها.. بدأت في البكاء!!

قلت لها، ما بك؟ قالت بصوت مختنق وهي تنظر بخجل.. أنا ما أقرأ قرآن.. قلت: لماذا؟

قالت: ما أعرف.. ومع انتهاء حرف الفاء.. انفجرت باكية..

ظللت أربت على كتفيها وأهديء من روعها..

قلت: أنت الآن في بيت الله.. اسأليه أن يعلمك.. وأن يعينك على قراءة القرآن..
كمكفنت دموعها..

وهي مشهدة أن أنساه ما حييت.. رفعت المرأة يديها تدعو الله قائلة: اللهم افتح قلبي.. اللهم افتح قلبي أقرأ قرآن.. اللهم افتح قلبي أقرأ قرآن..

ثم التفتت إلي وقالت: أنا أموت وما قرأت قرآن..
قلت لها: لا.. إن شاء الله سوف تقرئينه كاملاً وتختميه مرات ومرات..

سألته: هل تقرئين الماتحة؟

فاستبشرت.. وقالت: نعم..

ثم بدأت ترتل: الحمد لله رب العالمين.. الرحمن الرحيم..

حتى ختمتها..

ثم جلست تعدد قصار السور التي تحفظها..

كنت متعجبة من عربيتها الجيدة إلى حد ما.. وهي تتكلم عن حياتها.. وما تبدل له لتتعلم القرآن..

وفجأة تغير وجهها.. وقال: إذا أنا أموت ما قرأت قرآن.. أنا في نار!

أنا والله أسمع شريط.. بس لازم في قراءة! هذا كلام الله.. كلام الله العظيم! وبدات المسكينة تدافع عبراتها وهي تتكلم عن عظمة الله.. وحق كتابه علينا..

لم أتمالك نفسي من البكاء! امرأة أعجمية.. في بلاد علمانية.. تخشى أن تلقى الله ولم تقرأ كتابه.. منتهى أملها في الحياة أن تختتم القرآن..

تبكي.. وتحزن.. وتضيق عليها نفسها.. لأنها لا تستطيع تلاوة كتاب الله..

فما بالنا قد هجرناه؟

قد أوتيناه فنسيناه؟

ما بالنا والسبل ميسرة

لحفظه وتلاوته وفهمه؟

بالله.. على أي شيء تحترق

قلوبنا؟ وما الذي يثير

مدامنا ويهيج أحزاننا؟

أسأل الله أن ينقذ بهذه

القصص، وأشير إلى أن بعضها

قد اقتبسته من بعض المواقع

في شبكة الانترنت، ولم أجد

أسماء كاتبها.. فهم شركاء

في الأجر والثواب إن شاء

الله..

